

# الجملة المص

أو

الجملة المص

حول عسكريته ومطالبات سياسية في حروب الإثراك وتورة  
العرب وغير ذلك من المسائل الهامة التي تتعلق بالحرب العظمى

بقلم

عبد الله بن عبد الوهاب

رئيس أركان حرب جمال باتنا وقائد الفدائي الثامن

نقله إلى العربية

تأليف الأستاذ

المحرر في جريدة الأهرام

بمطبعة حجاب سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م



marefa.org

## موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع **المحتوى** العربي والإضافة إليه، لإنشاء **موسوعة دقيقة**، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من **مصادر مرخصة بالنقل**. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,501 مقال و 2,409,583 صفحة **مخطوط** فيها.

خلافًا للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. ادع **أصدقائك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم**.

## مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام **الأبجدية العربية**، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر **حيدر أباد** و**تنبكتو** و**زنجبار** و**سمرقند** ملأى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات **الضوئية** و**الإنترنت** بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات المسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات **باللغة العربية** التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة **بروكلمان** لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات **بالفارسية** و**التركية** (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في **الصين** و**تنبكتو** (مالي).

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. أخبرنا **(بالضغط هنا)** أي منها تريدنا أن نعجل بالنشر.

### خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات، أي تحويل الصورة المسوحة ضوئياً إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع شقيق باسم **معرفة المخطوطات** ليضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه **(بالتسجيل هنا)**.
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع **غوتهبرج Gutenberg Project** لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة لمشروع **غوتهبرج** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

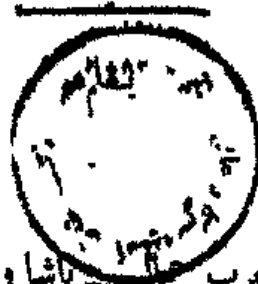
مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي





حول عسكري ومطالعات سياسية في حروب الانزالك وثورة  
عرب وغير ذلك من المسائل الهامة التي تتصل بالحرب العظمى



رئيس اركان حرب جلال باشا وقائد الفيلق الثامن

نقله الى العربية

المحرر في جريدة الاهرام

بمطبعة حواء سنة ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م



# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة

هذه رسالة الفها علي فواد بك رئيس اركان حرب جمال باشا وقائد الفيالق الثامن الذي كان يقاتل في فلسطين . وقد اطلعت عليها فيما اجلت فيها النظرة الاولى حتى مضيت الى انصره . وقام في نفسي ان انقلها الى قراء العربية ليطامعوا على شي من تلك الوقائع ومقدماتها وخطط قائديها ومدارك رجالها وعلى حديث الحملة التي اعدت لغزو مصر ، وعلى عوامل ثورة العرب كما يراها من هو في منزلة المؤلف ووقوفه على سير الامور .

ولكل امة نصيبها في هذه الحرب التي حفلت بجلال الاعمال - وه وضع عنايتها واهتمامها من حوادثها وانبيائها .

ونصينا نحن ابناء هذا الشرق ، في المعارك التي اتجمت في ربوعه وكان لها اجل شأن في مصير بلادده وحياته شعوبه فلا

غرو اذا كان لمطالعة حوادثها اثر كبير في النفوس ولا سيما اذا  
دونها رجل حضر الوقائع ومارسها وكانت له قيادة فيها .  
ويظهر من كلام منشيء الرسالة ان رأيه قد پابن آراء  
بعض الرجال الناقدی الكامة في قومه وانه يشكو استئثار فريق  
منهم واقتنائهم<sup>(١)</sup> في الامر . وقد وصف رسالته في المقدمة التي  
انشأها فقال انه اثبت فيها ما بقي في نفسه من اثار الحروب والوقائع  
وصفات الرجال والقواد .

ثم قال : « ان الرزية الكبرى التي اطلقنا عليها اسم  
الحرب العامة » سيكون لها اكبر تاثير في مستقبل ابنائنا وذرائنا  
ولذلك فاني ارى من الواجب على الاحياء الذين اشتروا في  
الحرب وكان لهم شأن فيها ، جل او صغر ، ان يذيعوا ما يتقدرون  
على اذاعته مما اطلعوا عليه وشاهدوه فيهدوا سبيل المؤرخين  
الذين يريدون ان يعملوا على تدوين سيرة هذه الحرب ،  
ومع تباينت الآراء فيما كان ينبغي على المتك من دخول الحرب  
او عدمه والوقوف في جانب الحلفاء ام في جانب الدول الوسطى  
وفي اي زمان وعلى اي طريقة فلا ريب ان كل ذلك قد مضى  
وان العثمانيين خاضوا غمار الحرب في صف الدول الوسطى وكان

(١) افتات برأيه : امتيد

لم شأن في سير الحرب واطوارها وقد قضي الامر ولا يغني الندم في هذه الدنيا وليس في مقدور الانتقاد ان يطوي ماقدتم بالامس ويجعله كأن لم يكن شيئاً مذكوراً»

«عياً العثمانيون جيشاً عرمرماً جاب صحراء التيه وانار على القناة و كنت في هذا الجيش مديراً لشعبة الاعمال الحربية ، فهذه الرسالة التي اقدمها بين يدي القراء هي بمقام حجر صغير في بديان تاريخ الحرب . واذا كان في الاجل فسحة فأسضع رسائل كهذه تبحث عن معارك اخرى كنت في جملة من صلي بناها .»  
وحدث المؤلف عن نفسه فقال : انه كان ملحقا عسكريا في السفارة العثمانية في باريز لما اعلنت الحرب العامة وتقلب بعد ذلك في وظائف مدير شعبة الاعمال الحربية ورئيس اركان حرب جيش وقائد فيلق

وقد قسم رسالته الى عشرة فصول :

- |               |                            |
|---------------|----------------------------|
| الفصل الاول : | في باريس                   |
| الـ الثاني :  | في الاستانة ومنشأ غزوة مصر |
| الـ الثالث :  | في سوريا                   |
| الـ الرابع :  | في التاهب لغزوة مصر        |
| الـ الخامس :  | في الحجاز                  |



الفصل السادس :	من دمشق الى بيت المقدس
- السابع :	في صحراء النيه
- الثامن :	الى القناة
- التاسع :	القارة
- العاشرة :	الوياب
	نُجيب الارمناني



## ١ - في باريس

كيف بدأت الحرب العامة - زيارة  
جمال باشا لفرنسا - عرض الجيش  
الافرنسي في تموز ١٩١٤ - الحرب  
في فرنسا - الحرب العامة امر متوقع !  
- وطنية الافرنسيين - قضية « كايو »  
- مقتل « جوريس » - اعلان النفير  
العام في تركيا - مغادرة باريس -  
في الباخرة .

كنت قبل الحرب العامة ملحقا عسكريا في باريز وقد  
قلدت هذه الوظيفة وانا في اليمين بعد نجاح التجربة التي قاتلت  
الامام يحيى ( سنة ٣٢٧ ) ولكن تعبئة السيد الادريسي ومحاصرة  
الايطاليين اليمين جعلتني امكث هناك الى ان نشبت حرب  
البالقان فقالت فيها ولذلك لم يتيسر لي هبوط باريز الا في  
اواخر سنة ٣٢٩ ( ١٩١٣ )

قضينا في باريز شتاء لا مثال له واتبعناه بربيعها الذي بهر  
الانظار حسنا ورونقا واستقبلنا صيف سنة ١٩١٤ الذي جاء  
بجمل في طياته ماندر مثله في تاريخ العالم من الحوادث الجسام .

كنت راجعاً في غمار<sup>(١)</sup> الناس من غابة بولونيا البديعة في التاسع والعشرين من حزيران وانتهيت من جادة بولونيا الى ميدان الكواكب ، وقد شاهد الذين يعرفون باريس الجواد<sup>(٢)</sup> المختبئة التي تُصل بهذا الميدان وتنتشر منه انتشار شعاعات النور من النجوم فمدت بصري الى قوس النصر المشيد في هذا الميدان وكأنه نُضم في هالة من انوار الشمس التي كانت تنحدر عليه في طفلها فراعني الا تهافت الناس وتهالكهم تهالكا غير مألوف على اتباع صحف المساء وكانت تذيع مقتل الارشيدوق فرنسوا وقرينته ، ولم يكن هذا النبأ من الحوادث التي بتوقعها الناس فاعترت قراء الصحف هزة خوف وعلت اسار يرغم سحابة سوداء وكان سكان باريس العائدين من نزهة مؤتفة لحواء في خفايا الغيب شبح خطر قريب . . . وكان تلك المدينة التي بلغت اهنأ عيش وارغده في ايام السلم الطوال ، قد خامر اهلهما ما خامر ذلك الملك الاشوري ( بالنازار ) لما كان غارقاً في طيبات العيش الغرير اذ لاحت له سطور من نار تنبؤه بسوء المنقلب ، فابتدرتهم الخشية من مصيبة دامية هائلة اكفهرت لها وجوههم ولكن

(١) غمار الس : جماعتهم ولفيهم

(٢) الجواد : جمع جادة وهي معظم الطريق

مضى كل واحد في سبيله وامسك عن اعمال الفكرة في الحادثة  
بماول ان يتشاغل عن التحدث بمخاوفها ويتجنب تجمل الآلام  
قبل وقوعها .

ثم جاء اليوم الثاني فهدأت قليلا حوادث الصحف كأن  
النار التي تريد ان تلتهم العالم ناسره ثارت هنيئة من الزمن حتى  
تستمر بغتة اي استعار . واقدم فطر الناس على التفاؤل الذي لم  
يعتم ان اثره في النفوس فعاد الباريسيون الى سياحات الصيف  
يتنعمون بلذائذ الموسم ومسراته .

وقد هبط باريس قبل اسبوع صديق لي من اركان  
الحرب وحل في منزل لطيف يحاذي منزلي في جوار « الشانزايزه »  
وكنا نجمل<sup>(١)</sup> قدام الرأي ونتحاذب اطراف الحديث في الشؤون  
العامة فذكر لي ذات يوم ان قائدا من كبار قادتنا قال له

« لا بد ان تشب نار حرب عامة قبل انقضاء خمس سنين »  
ورهن على ذلك بما رآه من اضطراب الاحوال السياسية الاوربية  
وتعقد مسائلها تعقداً يستحيل حله بغير الحسام . وكان صاحبي  
يرى ان الحرب على وشك الاضطراب وعلى حكومتنا ان تعجل  
بإعلان التغير العام على شريطة ان تحتفظ بجيادها .

وكان يرى ايضا ان كل فريق من المتحاربين يخرج من  
الحرب - غالباً كان او مغلوباً - وقد بلغ منه الاعياء فلا يستطيع ان  
يدخل في نضال مع الجيش العثماني الوداع<sup>(١)</sup> ، وبذلك نستطيع  
ان نصون كل ما نملكه ونرعاه .

اما انا فاعترف اني كنت اميل الى التفاؤل وقد جزمت  
بامتناع نشوب الحرب العامة لانها مستنزل بالغالبين ، فضلا عن  
المغلوبين ، من الخسائر ما لا يدع سبيلا لاقدام احد على اطلاق  
الحرب من عقابها . وما زلت ارى انه كان في قدرة اوربا ان  
تفادي من وقوع الحرب اياما طويلا ، وكان بوسعها اطالة امد  
السلم وذلك شأن المريض الذي اشفي<sup>(٢)</sup> على الهلاك ولا بد له من  
عملية جراحية فانه يستطيع ان يعيش عمرا طويلا بتعاطي الادوية  
المؤقتة ، وارجاء العملية الحاسمة .

وفي غضون هذه الحوادث زار جمال باشا وزير البحرية  
فرنسا وكانوا يستقبلونه حيثما حل ورحل استقبال الامراء ولقد  
صادف في المحافل الرسمية - وغير الرسمية - وفي الصحف  
والاندية ومظاهر الآراء العامة ، من التبجيل والحفاوة والتناهي  
في المودة وفرط الاكرام ما كاد يسمح على خواطر الاسى التي ابتتها

---

(١) الوداع : الساكن (٢) اشفي عليه : اشرف

الحرب البلقانية حينما من الدهر وبسحب عليها ذيل النسيان .  
وهذه المظاهر التي لقيها احد وزرائنا تثير في النفوس اقصى  
العواطف وابعد الاماني . وقد كنت اصحبه في بعض زيارته  
الرسمية بصفتي ملحقا عسكريا فقال لي بعد زيارة مصنع الطائرات  
ونحن نذكر حادثة البوسنة : ستري ما يكون ! ولما كنا في فلسطين  
ذكر لي انه لما قال هذه الكلمة لم تكن عقدت المعاهدة بيننا وبين  
الالمان . وان كانت المانيا تبسط الوعود لفتيات الترك وتمنيهم  
الاماني وتسألهم بعض التكاليف الا انهم لم يبتوا حينئذ قرارهم وما  
زالت تعترضهم الشبهات وقد استطلع جمال باشا رأى القرنسويين  
ووعدهم وعدا حسنا بقوله « اذا ضمنت فرنسا سلامة تركيا وامانها  
من مطامع الروس ومطامعهم فستكون تركيا قرية منها » فاجابته  
وزارة الخارجية ان فرنسا لا تدخل في عهد كهذا ما لم تصارح  
حليفها روسيا به وتجدها راضية عنه

ولما عاد جمال الى الآستانة وجد المفاوضات خبطت بعده  
خطوات واسعة وقد اثرت سياحته على الالمان وجعلتهم يعملون  
على زيادة التقرب من الترك والاسراع بذلك فأتفق جمال باشا  
بزملائه وشاركهم في الامر .

وقال جمال باشا انه لم يطلع على هذه المعاهدة الا شخص

أو شخصان ، فلم تعرف الى يوم دخولنا الحرب . وقد وصفها احد الساسة الاجانب بانها السر الوحيد الذي كتم في الباب العالي ' عرض الجيش الافرنسي في ١٤ من تموز تلك السنة بجاء على غاية ما يكون من الرونق والبهاء وقد راقت السماء في ذلك اليوم ورق الهواء وفضى رئيس الجمهورية قبل العرض يرمق<sup>(١)</sup> الجيش ويطالع كتابه ومشى على اثره الملحقون العسكريون اربع اربع متمطين صهوات الجياد التي ارسلتها مدرسة اركان الحرب وحضر هذا العرض سرب من الطائرات ، فهتف الفرنسيون لجيشهم هتافا عاليا وراحوا نشاوى الحاسة والاعجاب وثار فيهم ~~سيرة~~ العواطف التي يجدر بها ذلك المشهد .

اما الجيش الافرنسي فقد تقدم تقدما جايلا بعد سنة ١٨٧٠ و ٨٧١ فاحسنت القيام جمعية الدفاع الوطني بما عهد اليها به ، وقد اخطاء صواب الرأي الذين كانوا يظنون ان فرنسا سائرة الى الفناء بما تمكن فيها من مبادئ مقاومة العسكرية والاختلافات السياسية والمنازعات الحزبية وخفة المشرب في الآداب والعادات وامثال ذلك ولم يحيطوا خبيراً بمكونات الامور ودقائق اسرارها . وما كان تأثير تلك الاسباب

( ١ ) رفق : لخطه لخطا خفيفا

في وطنية الافرنسيين ووحدة جيشهم واعتدال نظامهم الا تأثيراً  
ظاهراً بعيداً عن الحقيقة ولم يكن عسيراً على الذين لا يقفون  
بارآتهم عند الظواهر بل ينفذون الى الخفايا ان يدركوا ما في  
الامة الفرنسية من مقومات الحياة وعظم الشأن

وما رأيت في فرنسا شيئاً اجل مكانة في نفسي واكبر فائدة  
لي من معرفة معنى الحرية الذي يتلقونه ويفهمونه فيها جيداً، ولا  
يمكن أن تالف مدارك الشرقي هذا المعنى وتأسكن اليه . . .

استرعى بصري ذات يوم اعلانات على جدر نظارة الحرجية  
نقول « فلنسطط الجمهورية ا » وهي بيانات الملكيين الذين يشنون  
دعوتهم ويقولون فيها ان الجمهورية الثالثة انزلت البلاد الافرنسية  
الى الدرك الاسفل ولا يمكن انقاذها الا بارجاع الأسرة المالكة  
التي خلدت لها الشرف الباذخ والتاريخ الزاهر . . . واشباه ذلك  
بعبارات تلتهب التهاباً وقد حضوا الناس على انتخاب اشبياع  
الملكيين بعد ان لم يتركوا وصمة ولا عارا الا الصقوهما  
بالحكومة الحاضرة

ومن اشد بواعث العجب انه مضت ايام على هذه المناشير  
ولم تمس باذى ، ولقد كانت شرطة الحكومة وحفظة الامن  
يجرسونها ويجهدون في صيانتها .



وهم يفهمون من الحرب ما يفهمون من العدل والقانون .  
وقد عرفتني هذه الحرب بما لم اكن اعرفه في بلادى من  
البون الشاسع بينها وبين فرنسا في معرفة معاني العدل والقانون  
وخصوصا من حيث اجراؤهما ونفاذهما .

وما اعظم الفرق بين فرنسا التي قررت في بلادها  
على اثر دعوى « دريفوس » انه لا يجوز ان يساب انسان حقه في  
سبيل منفعة الحكومة وبين الشرق الذي اخطأ كثيرا في تأويل  
قاعدة استباحة الضرر الخاص في سبيل النفع العام ، واساء تطبيقها  
في كل صحيفة من صحائف التاريخ !

ارجع الى عرض الجيش في ١٤ تموز فاقول : كان بجاني  
يومئذ الملحق العسكري الالماني فالتفت الي قائلا : « ان ابي عرض  
الجيش الالماني الفاتح في هذا المكان منذ خمسين سنة تقريبا وتلك  
هي الذكري التي تعرض الان في خاطري » وكنت احاذر ان  
اسمع ضابطا فرنسي هذا الحديث .

ذهب يوم ١٤ تموز ويظنه الناظر اليه كسائر الايام الا ان  
الذي يتغلغل في احشاء الحقائق يستوقف بصره حادثتان بسيطتان  
وهما ترك الزعيم<sup>(١)</sup> الكونت اغنايف الملحق العسكري الروسي

(١) الزعيم : لقب اطلق على الميرالاي

ومساعدته مساحة العرض لحل رموز برقية، واقامة مأدبة رسمية في مساء ١٤ تموز لم يحضرها من الملحقين العسكريين غير ملحق الروس والانكليز والبلجيك .

ان الملحق العسكري الروسي هذا هو نيجل الجنرال اغنايف سفير الآستانة المعروف ايام الساطان عبد العزيز وهو شاب بهي الطلعة ذكي الفواد شريف المحدث<sup>(١)</sup> جليل المكانة في باريس، تجري في اعطافه خيلاء الفخر ولا تبرح خاطره ذكرى انكسار امته في حرب اليابان وقد قال لي ذات مرة بدون مبالاة مشيراً للسفير الياباني : « انظر اليه انه فلاح ! »

لقد دعاني الكونت السالف الذكر الى تناول طعام الغداء ذات يوم في منزله الاثيق في جوار « شان دو مارس » ففاجأته مفاجأة طبيعية عن موقف دولته في هذه السنة وهل هي مصممة على اعلان التغير العام او مفكرة فيه ، فكان جوابه بعد ان حقق النظر في عيني هنيهة من الزمن : « لا . »

ولا ريب انه ليس مما يتوقع ان يفضي ملحق عسكري بحقيقة الامر اذا كان في النية اجراء ذلك ولكن كغفائي منه مارأيت من نظره الي غير مختار نظرة ذات معنى .

(١) اخذ « ككتف » : الخالص الاصل

توالت الحوادث سراعا في اخريات شهر تموز وقد سألت  
الزعيم ( تاردي ) معاون مدير الشعبة الثانية في اركان الحرب  
الافرنسية عن رأيه في الانباء الرائعة وتعاقب الحوادث الخيفة  
فقال لي كفيلسوف بعيد النظر رابط الجأش : « لا تخف فلن  
يحدث شيء من ذلك » . نعم لقد كان الزعيم الارب المهدب  
متفائلا مثلي .

وفي اثناء ذلك صادفت ايضا ملحق النمسا العسكري فقال  
لي وقد اشار بيده كمن ينتضي خنجراً : « اذا اعترضتنا روسيا فنحن  
حاضرون لذلتها وستبعنا تركيا بعد ذلك » وكان اكثر وقوفا مني  
على سير الحوادث .

ثم بدأت الحرب المكتوبة وناجرت المانيا فرنسا وقد بذت  
هذه ما تستطيعه لاجتناب الحرب فلم تفلح . ولما اعلنت الحرب  
استقبلتها بحكمة واثارة .

تهياً لي ان اسير كما اشتمت عليه عاصمة الافرنسيين من  
خفة ان القلوب واضطراب الجوانح ومشيت مع ذلك يوماً يوماً  
لاني لم ارح باريس في تلك الازمة التي تقدمت اعلان الحرب  
وجرت بعده .

لاستطيع امة ان تكون في مدرجة هذه الخطوب اكثر اناة

وتوؤدة ولم يكن الشعب الا فرنسي بالراغب في القتال ، ولكن لما وجد ان القتال لا بد منه تسمى كل خلاف وشقاق ونهد<sup>(١)</sup> الى ميادين الحرب بقلب واحد وجسم واحد ولم يسمعنا امثال ما سمع منه سنة ١٨٧٠ من الاسراف في التنادي : الى برلين ! الى برلين ! لقد بلغت مني هذه السكينة كل ما تبلغه من شعور وعاطفة ففي ايام هذه الحوادث كان اهتمام الراي العام وعنايته بمحدثين : الواحدة منهما محاكمة قرينة ( كايو ) والثانية مقتل ( جوريس ) اوقى قضي امر هاتين الحادثتين من غير ان يستفحل خطرهما بسبب المهالك التي اصبت البلاد في عرض منها ، ولو لم تكونا في هذا الزمان لكان شأنهما شأن حادثة « دريفوس » التي اثارت من الاختلاف والجدل ما هدد البلاد بالاختار

وقد ختم ( المسيو لابيوري ) الهامي التهير دفاعه في قضية قرينة ( كايو ) بتنبية لجنة المحكمين وتوجيه نظرها الى ما ينبغي من نبذ كل خلاف داخلي وجمع الكلمة والنفر الى ميادين القتال المذود عن حياض الوطن الذي اصبح العدو على ابوابه

ولقد اثار مقتل « جوريس » ثائرة العمال وحرك غضبهم ولكن قادة العمل انفسهم اشفقوا ان يحدث ما يثل<sup>(٢)</sup> الاتفاق

(١) نهد عدوه : صمد له ونهض (٢) التهمة : احبل في الحائط وغيره

المقدس الذي نادى به الاحزاب جمعاء . فاذا عوا بياناتهم المختلفة  
قبل ان يوارى جوريس في لحده وحضوا العمال على الهدوء  
والسكينة في ذلك الزمن الذي لم يكن زمن نار وانتقام  
وكان ابلغ اية في هذا البيان قولهم : انهم قتلوا جوريس اما  
انتم فلن تقتلوا الوطن !

ولما كنت اعتقد ان بلادنا تعمل على صيانة حيادها في هذا  
الزمن وتحفظ به اخذت اعد العدد لمشاهدة الحركة الحربية في  
المعسكر الافرسي وبينما انا كذلك اذ جاءتني برقية تقول « انه  
اعلان النفير العام فعليكم ان تتوجهوا الى الاستانة مع التلاميذ  
المدرسين العسكرية »

ولا انسى انني ماكدت اطلع على هذه البرقية حتى سمعت احد  
كتاب السفارة يقول : « اما والله لنهلكن » فاسكته كاتب اخر  
ورفعى عليه باللام .

كان لنا في فرنسا ما يربو على خمسة وعشرين ضابطا  
وطببيا عسكريا ولم يكن من اليسير العودة معهم الى الاستانة وقد  
دب في نفوس الفرنسيين ان اعلان تركيا النفير العام مقدمة  
للقوف في صف الدول الوسطى اما انا فكنت مقبلا على تفاؤل  
لا انحول عنه ولم اعد النفير العام الاحماية حيادنا اذا جد حادث

وكان هذا جوابي للزعيم ( اغنائيف ) لما سألني عن القصد من اعلان التغير العام عند وداعي اياه فسرته هذا الجواب وقال لي : اذا لا تريدون ان تهاجموا قفقاسية . ولما ابتدرت الباب ، اسرع فاعطاني معطفي وعصاي كيلا تفوته دقيقة قبل ان يكتب الي ( بطرسبورج ) بسفري هذا .

رأيت من نظارة الحربية الافرنسية معاملة حسنة في تيسير سفرنا وخصصت لنا مقطورة تسير بنا الى مرسيليا وقد صحبنا ( خالد ضيا بك ) وكان حينئذ في باريس وعند مغادرة السفارة اقترب مني مستشارها وقال لي باسم السفير واسمه : « حذار من دخول الحرب عليك ان توصي الرجال المعلومين بذلك » وزاد في حديثه قائلا « اذا كنت على هذا الرأي » فنبهت لحديثه لاني كنت اعتقد ان كلامي سيبلغ ما اريد من النفر المتعاضين على ناصية الامة ومقاديرها وقلت اني على هذا الرأي ، وما فعل ما استطيعه . وقد اعترضتنا في مرسيليا مصاعب وعقبات اذ انه لم يصرح في اوراق سفرنا بمغادرة « مرسيليا » وتمسك واليها بهذا السبب لئمننا من السفر ، وقال لا بد له من ان يستأذن وزارة الخارجية

وقد بذلنا كل ما تقدر عليه اذ وخالد ضيا بك من وسائل

الاقناع فلم تجدنا نفعا ولم يعدل الوالي عن رأيه وقال لنا « اذا كنتم على ما تدعون من حب فرنسا هذا الحب فلماذا لا تبقون فيها وتقاتلون في صفوفها التي تقاتل في سبيل الحق والحريه ؟ » وكان الموقف السيامي عرضة للتبدل السريع في كل آن دع انت الحكومة قد استاجرت اكثر السفن بباعث التبعه وحشد الجيوش وقد لا نبرح فرنسا فيما بعد اذا لم نبرح مارسيليا من ساعتنا هذه . وبيننا نحن في هذه المخاوف عثرنا على طريقة حل لم نخطر لنا ببال اذ نصبحنا رجل بالسفر على سفينة اوشكت ان تقادر مارسيليا الى ( جنوه ) ولم يكن من اليسير التوجه الى الآستانة منها . فقرر الرأي على اننا بعد ان نزل في جنوه ننظر في امرنا فركبنا السفينة ومضت بنا تشق عباب الماء محاذية ساحل ( نيس ) الفتان وقد شغلنا رزية الحرب التي تهدد العالم بأسره عن التلذذ بمشاهد البحر والساحل والكائنات . وما كان اهدأ هذا السفر لولا مدهمة الحرب العامة !

ان ( جنوة ) مدينة حسنة في ايطاليا ووكيل حكومتنا فيها من مواطنينا الارمن وكان قبل ذلك وكيلا لها في افريقيا الجنوبية وما زلنا نذكر ماتناقلته الصحف اثناء عمله هذا من مساعيه في جمع اعانة مسلمي هذه الاقطار للخط الحجازي وقد شاورناه في

كل امر قبل قيامنا ، وصحت عزيمتنا على المضي الى « برنديزي »  
وفيهما نحدد وجهتنا

استبدلنا اوراقا مالية ايطالية بالاوراق المالية الافرسيية  
واستبدلنا ذهبا بتلك وخسرنا بكل منهما عشرة بالمئة وذلك لاجل  
تذاكر السفر وتناولنا طعاما شهيا ومكرونة لذيذة في بهو فندق  
زين بالازهار المختلفة الالوان ومكثنا ننتظر قيام القطار .

ثم صعد بنا بعد ذلك القطار المتسلق الى الجبل المطل على  
جنوه وتمتعنا بالنزهة فيه فكانت جنوه ومياه بحر الروم تحت  
اقدامنا وكم كان يحظى المرء بسعادة في جنوه لولا نشوب الحرب  
وقد اخترقنا في طريقنا الى ( برنديزي ) شبه جزيرة ايطاليا من  
شمالها الغربي الى جنوبها الشرقي وكانت المقطورات حافلة  
مكتظة والجو مستوا الهواجر<sup>(١)</sup> فقضينا بياض نهارنا كله تلفحننا  
ودائقه<sup>(٢)</sup> ويزيد كربنا فيه غطيظ النيام وتزاحم النساء والرجال  
اما ( برنديزي ) فهي على عظم شأنها في موقعها الجغرافي  
مدينة مهمة ، وكان فيها خلق كثير من الروس والشرقيين  
ينتظرون ، وصادف قيام سفينة منها على غير المأمول فلم يتيسر  
لنا الا بعد جهد جهيد ان نعرز مكانا فيها .

(١) جمع هاجرة : نصف النهار في الفيظ (٢) جمع ودبقة : شدة الحر



ومرت بنا السفينة على كورفو ، بيرا وسلانك فجنينا من  
بيرا الياسمين الفضي وشاهدنا قصر (اشيليون) ولكن ما في نفوسنا  
من الوجع حرمانا التمتع بهذه المجالي الباهرة وعرفنا في سلانك  
ان مدرعتي ( غوين ) و ( برسلاو ) اجتازتا المضيق فوقع هذا النبا  
وقعا اليما من نفوس اهل السفينة اجمعين ، واقبل يسائلنا سفير  
الروس هل يستطيعون المضي الى بلادهم وخنقت العبرات  
نسوة فيهم .

وكان في السفينة المسيو « دو كيرس » سفير الروس في  
الآستانة سابقا فملأت هذه الحوادث نفس ذلك السياسي دهشة  
واني لا انسى موقفه ما حييت . ولعله كان يستنبط الاسباب  
والتأج و ينظر فيما تكتمه ثانيا الغيب و يعمل فكرته في استقبال  
الترك هاتين المدرعتين الالمانيتين وفي ميل الترك الى الالمان وما  
نتيجة هذا الميل من سد المضائق ودخول تركيا في الحرب .  
واذا سدت المضائق اضمحل الجيش الروسي اقله مالدبيه من  
الذخائر وتتهي به احاديث نفسه الى نشوب الثورة وكأنه التي  
في خلد ما تصير اليه سلطنة الروس من المصاير السيئة .  
لقد امن المسيو « دو كيرس » في فكرته امعانا جعله  
بمعزل عن كل شيء حوله و كنت بجانبه اطيل النظر اليه و اشاهد

نظراته المتوقدة من وراء النظارة كأنها ترمي الى شيء غير محدود واليأس بالغ منها ببلغه ، اما انا فلم اكن ارى محلا لذلك اليأس الذي ألم بالسفير كما اني لم اكن اعرف من شوون بلاده الداخلية ما يعرفه ولم اكن اجد في دخول المدرعتين الآستانة غير حادثة من حوادث الصدقة والاتفاق التي لم يُتعمد لها . غير انني بعد ان رأيت ما اصاب روسيا من سد المضائق كشف لي القناع عن حقيقة المسيو دو كيرس واني اشهد لهذا السياسي انه بعيد الغور ، دقيق النظر ، حصيف <sup>(١)</sup> الرأي .

كانت تسبح طرادات الانكليز في جوار الدردنيل وقد امر احدها سفيتنا بالوقوف فوقفت وجاء ضابطان يبحثان فيها فسقط في يدنا الا انهما اكتفيا بالسؤال عن وجود معدات وذخائر ولم يتعرضا الى وجود ضابط من الترك .

وفي الخامس عشر من آب وبعد عشرة ايام من تاتي امر وزارة الحربية كنت في الآستانة ومعى جميع الضباط الذين كانوا في فرنسا فشهدت كرمي المملكة هائجا مأجمايحن الى الحرب والقتال .



(١) حصيف : استحك عقله فهو حصيف

## ٢- في الأستانة

زيارتي لانور باشا وجمال باشا - الحكومة باجمعها  
بيد انور - آخر اعمالى السياسية - بماذا كان  
يعمل الالمان ضباطنا ؟ - ليمان فون ساندرس باشا  
« غوبن » و « برسلاو » - عزت باشا - دخول  
الحرب - نسف عادية الروس - غليوم وبسبرك .

كان همي منذ دخلت الاستانة ان اعرف العمل الذي  
أقلده فعرفت اني وُلِيت شعبة الاعمال الحربية في الجيش الثاني  
الذي يقوده جمال باشا ناظر البحرية وكان مدير شعبة الاستخبارات  
فيه ( رأفت بك ) وقد اصبح زعيماً وُقِلد قيادة الدرك العامة .  
صادف هذا العمل هوىً في نفسي ووقع تقليدي اياه موقع الحيرة  
مني لانه عمل ذو شأن اتاني متقاداً بدون عناء ولا رجاء ولم اكن  
متميماً الى حزب ولا لائذا بانسان .

وكان يومئذ في الاستانة معسكر الجيش الاول ومعسكر  
الجيش الثاني ، ويقود الجيش الاول ( فون ليمان سندر س باشا )  
ويتولى شعبة الاعمال الحربية فيه القمائد ( عصمت بك ) الزعيم  
مستشار وزارة الحربية بالامس ورئيس اركان الحرب عند مصطفى  
كمال باشا اليوم = ومدير شعبة استخباراته القمائد كاظم بك ( امير

المواءم الآن ( .

وقد عرف جمال باشا بأنه رجل سياسي أكثر منه عسكري  
فوقع اختيار القيادة العامة عليّ حتى لا يكون هذا الجيش أقل شأنًا  
من الجيش الذي يقوده رئيس لجنة الإصلاح العسكري الألمانية  
ثم إنه استوقف نظري في الاستانة إذ ذاك شيّ اخصه  
بالذكر وهو إنشاء قيادة عامة وما كان ذلك العمل الا خطوة في  
سبيل الحرب ومباشرتها ولكن التفاؤل يقضي على المتفائل ان  
يتوقع الخير من كل شيء فلا يرى الا ما يجب ان يراه ، ويغالط  
نفسه اذا وجد الحقائق بارزة للبيان و كنت على غير قصد مني  
اميل الى تفسير الامور وتأويلها كما احب واهوى . فكان يخيل  
الي ان الغاية الوحيدة من انشاء قيادة عامة هو ان تكون التدابير  
العسكرية التي بديء بها يوم اعلان النفير العام في قبضة واحدة ،  
وذلك ضمن لان تسير سيرنا حسنا

وكان عليّ بصفة كوني ملحقاً عسكرياً قادمًا من باريس  
ان ازور وكيل القائد العام ، فزرته ورأيت هناك ( انور بك )  
الذي خلفته قبل تسعة اشهر في منزله الصغير في ( بشكطاش )  
ضابطا شابا كريم المهزة<sup>(١)</sup> لين الجانب ، رقيق الوجه واضعا امامه

(١) المهزة : « بالكسر » النشاط والارتياح

صورة ( نابوليون بونابرت ) قد اصبح في قصره في « نشاتاش »  
تلوح عليه مخايل حاكم قاهر ( ديكتاتور ) فقاضت بشاشته  
واكفهرت اسار يروجه وقر قراره على ان يفعل ما فعل قيصر . .  
ربما لا يوجد في العالم رجل كهذا ، تطور هذا التطور  
السريع وادرك هذا الشأن الجليل في مثل تلك الايام اليسيرة .  
لزم وكيل القائد العام فراشه وكان يشكو الما في رجله ،  
فكاشفته حينئذ بكل ما لدي من الآراء فيما يتعلق بالجيش  
الافرنسي ، وما شاهده في باريس اثناء اعلان الحرب وبينت  
له انني لم اكن اشك ان اعلان التفسير العام في بلادنا ليس الا  
تدبير حذر وحيطة لصيانة حيادنا ودرء العوادي عنه وقد اوضحت  
ذلك في باريس لوزارة الحربية والضباط الذين يهمهم الامر  
وذلك على حساب قيام الحلفاء بتدابير حرية توجه الينا .

فما ارتاح انور باشا لكلامي ولله وجد فيه اني لم اكن  
ارغب بدخول بلادنا الحرب - والحرب اقصى اماني الفتي  
المسكري الجري - وفي الحرب كل ما يرجوه من منزلة رفيعة  
وشرف باذخ ا

وكان انور باشا يرى ان الله خلقه ليجري على يديه بعض  
خوارق العادات ولا يخالجه شك في ذلك ويرى ان هذه الحرب

هي افضل وسيلة ينبغي التوسل بها ليلبغ مطامحه وشهواته وينفذ تلك الخوارق التي قدر لها ان تجري على يديه ، وفي الحرب نجيم الحاكم القاهر الشاب وفيها الواجب الذي اعتقد انه أنزل عليه بقضاء وقدر . و غاية هذه الحياة عنده هي ان يموت الانسان ميتة مذكورة ولكن قبل ان يموت يجب ان يحمل بروءوس الحراب حملات عنيفة يقيم بها سوق المنايا ويقعدها وكل شي هين عليه بعد حملات الحراب لان تاريخ العالم لا يكتب الا بروءوسها . وفطرة انور باشا تقضي بان لا يكون غير ذلك قضاء مبرما .

واقدم ابق حديثي في نفسه اثرالم ينسه مدة الحرب كلها وما هو الا امر لا بد منه ونتيجة لازمة لما بيننا من الاقتراق في الطبائع والتباين الشديد في الآراء ومسالك الحياة .

كانت قيادة الجيش الثاني في المدرسة الحربية فذهبت الي زيارة رئيس اركان حرب هذا الجيش كما توجب الوظيفة وهو الزعيم ( فوق فرانكنبرغ ) الالماني وكان قبل الحرب رئيس اركان حرب فيلق ، وهو متفرد بين اقرانه بالمضاء وصحة العزيمة . فرأيت في غرفة اركان حرب الجيش مكبا على الخارطة يناظر اركان حرب الاتراك بما تكون عليه حدود تركيا بعد هذه الحرب ، وكان على الخارطة خطوط كثيرة تدل على ان مناظرة

طويلة حوت في هذا الشأن وهذه الحدود تمتد الى شمال القفقاس  
وتمر بجوار نهر ( الفلغا )<sup>(١)</sup> اما مصر فهي داخلة بالحدود بلا خلاف  
والمناظرة قائمة حول القريم والتركستان . فسبق الى ظني انهم  
يتفكرون واكن مضي رفاقي في حديثهم جادين غير هازلين وكان  
ذلك اثر ما اتقنهم اياه رئيس اركان الحرب . منذ اعلان  
التغير العام .

ثم مرنا الى حجرة الرئيس فسألني اذا كانت لي معرفة  
سابقة بجبال باشا وقال انه لا يرمي في اعماله الا الى غاية واحدة  
هي العمل بكل ما اوتي من قوة على اسعاد المملكة العثمانية ورفع  
شأنها ، وذكر انه يتوقع ان اكون عوناً له وعضداً . وافضى الي  
بعد هذا بما يعن له في انظمة المعسكر الداخليه وبين انه لا يجوز  
ان يتصل شيء بقائد الجيش الا عن طريقه ، فلا يجوز لاحد  
من ضباط المعسكر ان يراه الا بعد استئذانه ولا يجوز ان يعث  
اليه بورقة ما لم يكن قد اطلع عليها وذلك بصفته رئيس اركان  
الحرب وقائد المعسكر وهو لا يريد بذلك الافتئات على القائد  
والاستبداد به ولكنه يعتقد انه لا بد لادراك النجاح و بلوغ المنال  
من اتباع هذه القواعد والسير عليها .

(١) هو النهر الذي ينبع من جبال الاورال ويفصل قطعة اوربا عن آسيا

ولما كنت قد بلوت هذا الامر وعجمت<sup>(١)</sup> عوده وعرفت ما يكون من الاثر الضار في الجيش اذا توطدت اركان الصلات مباشرة بين ضباط فيه وضباط آخرين اسى رتبة منهم وانفسد كلمة وايقنت ان سلامة المسكروا منه يتوقفان على ان لا يتعدى الضابط طوره ولا يتصل بغير رئيسه المباشر، شاركت الرئيس مشاركة فلية وقلت له ان هذه الآراء هي سبيل السلامة الوحيد وانني بصفتي العسكرية سأكون خادمه الامين واضفت الى ذلك انني لم تكن لي مجال غير معرفة مجملته وقد اتصلت به ايام كان في باريس بمتنضي الوظيفة .

زرت جمالا صبيحة اليوم الثاني فرأيت فيه انقباضا وحتمية اكثر من كل وقت رأيت فيه ، وكأنه تمل من ذلك الحين بحميا المنزلة الشريفة التي كتب له احرازها وكان يجد جليسه في هذه السكنية والطائفة ما يجد فلا يفسح له مجال القول بلزوم السلام والحياد ، غير انني بعد ما ذكرت ما أوليته من الشرف بالوظيفة التي قلدها اتيت بمحدث مستشار السفارة في باريس وقلت انني على رأيه « في اجتناب الحرب » . فقال لي جمال وانا على هذا الرأي ولا اري ان تقذف بالمملكة في بحر لحي ليس له قرار

(١) عجم العود : عضة ليعلم صلابته من خوره



قبل ان يكشف القناع عن حقيقة الموقف واني ابذل ما في وسعي  
لتأجيل اعلان الحرب ، ولكن يتعين عليّ اذا رأيت روسيا =  
عدوتنا اللدودة = عليّ مقربة من التهلك ان اكون صاحب  
الضربة الاخيرة .

اما معنى هذه الكلمات التي تظهر عليها مسحة الحقيقة فهي  
ان محافظتنا على الحياد الى آخر الحرب امر قد فرغ منه وقرّ الرأي  
عليّ المناخلة في جانب الدول الوسطي الا انهم يفضلون مباشرة  
القتال في يوم يقع عليه الاختيار .

لم يف جمال بهذه النية لان المنى كلها خضعت لمزامير اسنخه  
مكينة لا تقاس بها عزيمة جمال وارادته فانهم لم يقاتلوا في اسعد  
الايام وامينها بل قاتلوا في يوم عبوس اغبر يوم كانت جيوش الالمان  
بقيادة « هندنبورغ » تتحاز الى ( بومرانيا ) في ساحة الشرق  
وكانت هذه الجيوش كذلك خارجة من معركة المارن التي خسرت  
بها كل ما ترجوه من دخول باريس ظافرة .

كانت المملكة العثمانية في قبضة الاتحاديين وكان الاتحاديون  
في قبضة المركز العام وكان المركز العام في قبضة الحكام الثلاثة  
وكان الثلاثة في قبضة انور يسوقهم سوقا عنيفا . اما مقام  
السلطنة والقوى التشريعية وحزب الاتحاد والترقي والحكومة

الرسمية والمطبوعات والراي العام فلم تكن الا اشباها ماثلة  
وخيالات مصورة .

وكان جمال باشا بين القابضين على زمام الامور موصوفا  
بشيء من الاعتدال فلما وجدته على هذا الراي ادركت انه لم يبق  
لي فسحة في الرجاء وكان حديثي معه آخر عمل سياسي تستدعيه  
وظيفتي القديمة وهي تنتهي متى تقلدت وظيفتي الحديثة في  
الجيش وقد صحت عزيمتي على ان احبس جهودي ومساعي وكل  
ما اوتيت من قوة اديبة ومادية على وظيفتي العسكرية ومضيت  
في ذلك مدة الحرب كلها .

قضى رجال اركان الحرب الاساييم التي تقدمت المناجزة  
وهم دائبون كل الدأب و باذلون اقصى الطاقة يضيفون الى  
وظائفهم اليومية التفتيش والتمرين والقاء المحاضرات واذا اختلسوا  
ساعة من عملهم اقبلوا ينظرون في امر الحدود المستقبلية ويعلمون  
انفسهم فيها باعاليل المنى وكان ضباط الالمان يزورون ظهيرة كل  
يوم فون سندرس باشا فيبثونه ما عندهم و يبثهم ما عنده ومن  
جملة ما اُسرُوا به ان يثيروا عاطفة الحماسة في قلوب ضباط الترك  
ويزوا اعطاف الجيش باحداث الحرب فيعدونه الى خوض غمارها  
ومن اوطنية الصادقة قيامهم بهذا الواجب من حيث انهم الالمان .

وكان رئيس اركان الحرب يميل الفكرة في امري اذ يراني في اثناء مناظرات الحدود غير منساق مع رفاقي في التحدث بتلك الاحلام اللذيذة ، فيعني باقناعي عناية خاصة اكثر من اي واحد غيري وقد قال لي ذات مرة وهو يتحدث عن حدود لا اذكرها في آسيا : « ولماذا لا تكون هذه حدود بلادكم ؟ » وحقا لا ادري لماذا لا تكون ؟ وما من سبب يدعوننا ان لانتمها !

انها كلمة لايهون الجواب عليها ! وقد رأينا في هذه الحرب كثيراً من حجج الالمان ما كان ظاهراً خطاه<sup>(١)</sup> الا انه لا يسع المرء ان يرد عليها ومن جملتها قول رئيس اركان الحرب متهمكاً : « ولماذا لا تكون هذه حدود بلادكم ! » و كان يغابني الخياء لاني كنت السبب في هذا السؤال .

كان الرئيس يجمع الضباط ساعة في اليوم ويعلمهم مبادئ اللغة الروسية اذ يمكن ان يتولى الجيش الثاني الاعمال الحربية في التمهقاس ويردد في حديثه ان « غوبن » و « برسلاو » ضمنيتا لنا السيادة في البحر الاسود . ومع ذلك ما كانت لتدخل تركيا الحرب على الاثر وقد احتفل ذات مرة بعرض الاسطول فشهدنا بحجارة ( غوبن ) ، ( برسلاو ) واضعين على رؤوسهم القفلانس

( ١ ) ( خطل الرأي : فساد

العثمانية واذا نادوا بالهتاف نادوا بكلمة « هوراه »<sup>(١)</sup> وقد قال لي  
رئيس اركان الحرب ذات يوم وعيناه مغرورقتان بالدمع :  
« اذا كانت تركيا لا تريد ان نقاتل فنحن نريد ان نذهب الى  
بلادنا . انه من السبة والعار ان تكون بلادنا في خطر ويكون  
اخواننا في السلاح يناضلون العدو ونحن نرتع في مجبوحة الدعة  
والراحة وهولاء بحارة « غوبن » و « برسلاو » يقولون انهم لم  
يقدموا هذه البلاد للهو والمعب ولكنهم قدموها للحرب والقتال .  
وقال لي مرة اخرى : « نحن نقول لهم اذا كنتم لا تقاتلون  
فأذنوا لنا بالعودة الى بلادنا . وهم يسألوننا قائلين كلا انا سنقاتل  
فهو فوا عليكم ! »

وذكر لي ان قيصر المانيا ارسل الى ( ليان فون سندرس باشا )  
رقية يقول فيها : ( اذهب الى انور باشا بنفسك وبلغه ازكى  
تحاياي وقل له ان للقيصر كل الثقة به وان لجنة الاصلاح وبرأسها  
فون سندرس باشا رهينة امره وطوع ارادته . )

وحسب انور باشا مجاذبة لهذه العوامل فان قلبه لا يستطيع  
عليها صبرا اكثر مما صبر ، ولم تكن تخامره رية باب الالمان  
يظفرون باعدائهم في هذه الحرب وماذا تستفيد

(٢) كلمة في الالمانية تقابل « ليحي » في العربية

تركيا اذا احرزت المانيا الفوز الحاسم بسيفها وعلى الذي يريد ان  
يجتني ثمر الوقائع ياتنا ان يكون له حظ كبير في ادراك النصر  
ولذلك يتحتم دخول الحرب في اجل قريب .

وكان انور باشا يقول بمد التمارين الحربية التي كانت تجري  
مرارا في الاسبوع وهو في موقف الناقد كما هي العادة المتبعة :  
« ان الجيش العثماني سيفسَل عنه العار الذي اورثته اياه حرب  
البلقان ! » فكان يضرب بهذا القول على اشجى وتر في قلوب  
الضباط العثمانيين ، ولم يبق لدخول الحرب الا تعيين اليوم  
او الاسبوع .

احبت ان ارى « عزت باشا »<sup>(١)</sup> واستطلع رأيه في هذا  
الشأن فزرتة وسألته عن افضل طريقة يتعين على البلاد سلوكها  
فاجابني بدون توقف : « عليها ان تسلك خطة الحيات المحض »  
وما اوعر هذه الطريق في تلك الايام ! لقد كانت البلاد  
تهوي هويها في السير الى الحرب ولم يكن لها ركن تأوى اليه . وكان  
هذا الرجل يعرف سبيل السلامة ولكن لم يكن يملك من الحول  
والقوة ما يؤيد به رأيه .

كما كنت افكر في الوطن الحبيب وجدده العاثر سواء في

١١١ هو قائد الحملة التي حاربت الامام يحيى في اليمن سنة ٣٢٧

غضون الحرب اوقباها او بعدها كان يرمضني قبل كل شيء ان  
تمر بنا هذه الاحداث وعزت باشا على قيد الحياة .

ان عزت باشا رأى كل شيء وعرف كل شيء والبلاد  
العثمانية لم تنكره ولم تجهل عظيم قدره وجايل امره ، وليس له ان  
يدعي ما ادعاه ( سبيون ) من انكار وطنه اياه لان عزت باشا  
دعي من منغاه بعد الانقلاب وقلد رئاسة اركان الحرب العامة  
وتقلب في السنين العشرة الاخيرة في مناصب مختلفة من جانتها  
وزارة الحربية والقيادة العامة والصدارة العظمى ولكنه كان  
يخرج من جميع هذه الوظائف بدون ان يخالف فيها الاثر الذي  
يحمل به ويناسب مقدرته واستعداده ، وكلما اجلت رأبي في  
استكناه سر هذه المعضلة كنت اذكر كلمة ( اطلعت ) وأجدها  
الحل الوحيد :

في اثناء حرب البلقان واضمحلال جمعية الاتحاد والترقي  
وقبيل حادثة الباب العالي سألت طلعت باشا ماذا يراه فقال لي :  
« نحن نريد ان نذهب الى ادرنه ونحن نبحت عن الرجل الذي  
يسير بنا ، ذهبنا الى ناظم باشا وقلنا له ان الاتحاديين بأسرهم قيد  
او امره اذا قرر مهاجمة ادرنه فأبى ذلك ، ثم ذهبنا الى محمود  
شوكت باشا وقلنا له عين المقال واضفنا اليه اننا نشعل ثورة

وتقلده على اثرها زمام المملكة ، فكان جوابه : اني لا ارجو ان  
نتمكن من الدفاع في ( شطالجة ) فكيف بالمهجوم على ادرنة ؟ ثم  
ذهبنا الى عزت باشا فحدثناه في الموضوع فألقى علينا حسابا يبين  
ما عند العثمانيين من القنابل والمدافع وسائر معدات الحرب  
والكفاح وقال ان رجاء الفوز لا يزيد عن ٣٠ او ٤٠ بالمئة وليس  
من رأبي الاعتماد على هذا الرجاء الضعيف والمغامرة بمستقبل  
الجيش والبلاد .

وهنا قال لي طلعت : « لو ان عزت باشا استمد من روح  
( نابوليون ) ٣٠ او ٤٠ في المئة لسمت آية النصر الى ٨٠ في المئة »  
فأجبتني غير مختار : لو كان ذلك كذلك لكنتم غير احياء  
ووردتم حياض المنايا التي وردها قبلكم اعضاء ( الكونفانسيون )  
فاشكروا الله كثيرا لان عزت باشا لم يكن طامحا مثل نابوليون  
فقال : ليته كان !

اجل لو ان عزت باشا جمع الى سداد رأيه وبعد نظره  
وسعة صدره الحرص على المنازل والرتب ، ربما كان في الاتراك  
بمقام « فنز بلوس » في اليونان ولخرج الترك من هذه الحرب  
العظمى باحدى الحصلتين : اما الحظ الهنيء واما الضرر اليسير .  
كان معسكر الجيش في مضارب فوق طراية على ربوة

مشرقة على المضيق في أبان معركة المارن فلم يكن رئيس اركان الحرب ليصدق بحال من الاحوال ان الجيش الالماني خسر المعركة وتقهقر الى الوراء وكان يدعي ان لالمانيا جيشا لم يعرف عنه شيء بعد يعمل في طي الخفاء على الاحاطة بباريس من الشمال والغرب احاطة السوار بالمعصم فلا يعبأ بذلك التراجع الموقت الذي لم يقصد منه غير اكتساب الزمن ولم يكن يأبى ان يساجلنا في هذا الموضوع ، ولم يكن يأبى ان يسجل ما قاله على ان يُقرأ بعد ايام ثلاثة فتبين صحة نظره واذا لم تجر الحوادث على حسب ما ادعى وارتأى فانه يعد نفسه ضابطا ساقطا بين ضباط اركان الحرب . ولم يعدل رئيس اركان حربنا عن هذا الرأي .

ولقد اخطأ الالمان خطأ عظيما في حشد الجيش بنقلهم قسما كبيرا من قواهم في آب سنة ١٩١٤ من الساحة الغربية الى الساحة الشرقية فكان جزاؤهم على هذا الخطأ ما اصابهم من ضياع معركة « المارن » التي كانت مقدمة لضياع الحرب كلها ، وفي هذه الاحيان دخلت بلادنا الحرب كما هو معلوم من ابتداء امرها .

وبعد مضي ايام على ذلك خطب قائد الجيش بفرمان الضباط عند انتهاء تمارين عسكرية في جوار « اياستفانوس »



حيث عادية<sup>(١)</sup> الروس منصوبة فقال : « اخطأ بعض الجبناء فيما  
نوهموه من ان عمل اسطولنا في البحر الاسود كان برأي الاميرال  
الالماني وحده ليحمل الحكومة العثمانية امام حادث مقضي ، الا  
انه أُجري بقدر وامر سبق ولم يكن قادة الالمان وامراؤهم في  
البر والبحر الاعمالا عند الحكومة العثمانية ولم يكن الرجال الذين  
عهد اليهم بمقاييد الامة ومقاديرها في قبضة احد وتحت تأثير  
سلطان ما وهم احرار في آرائهم واعمالهم ، وقد اختاروا خوض  
معامع الحرب كيلا يعيش الاتراك في ذلة فاما ان يذودوا بالسيف  
عن حوض عزهم ويقاتلوا دون استقلالهم وحقهم حتى يبلغوا ما  
يؤمنون واما ان يموتوا مية كريمة . »

وعلى الاتر أمرت كتيبة الاستحكام بنفس تلك العادية  
فنسفتها نسفا .

فأما وقد اصبت الحرب امرا مقضيا وكان شأنها الذي  
صارت اليه كما اسلفنا وجب علينا كما قال لي احد اصدقائي  
مواجهة الحقائق واستنفاد القوى حتى نخرج منها ظافرين .

لقد كلف القياصرة الشعوب التي عبدتهم ثما غاليا . فلا  
ينبغي ان يقع من الامة العثمانية موقع التعجب ذلك الثمن الغالي

(١) العدية : بناء او ركز ينصب تذكرا لواقعة شهيرة وغيرها

الذي سامها « انور » اياه ، فهي التي ولته وزارة حربها وقيادة جيشها قبل ان يذيف على ثلاث وثلاثين سنة ، واذا كان يسيراً فقد الحوادث وتمحيصها بعد انقضائها فمن الظلم ان لا ينظر اليها وهي تجري بدقة وامعان .

ان استبداد ثلاثين سنة فت في عضد الجيش العثماني واوفى به على البوار ، وقد نهض هذا الجيش في ( مكدونيا ) وقام بثورة ١٠ تموز ودخل في معمران السياسة بعد هذه الثورة فانتشرت اموره واستمرت الفوضى فيه وفي ابان هذه الفوضى نشبت حرب البلقان وذهبت بما ذهبت به .

كان من الواجب « الذي لامناص منه » انفاذ الجيش من الفوضى بعد انتهاء الحرب البلقانية وتجديد شبابه ولا يستطيع القيام بهذه المهمة الشاقة الا رجل عزيز الجانب منيعه وكان انور باشا ذلك الرجل ، وكان المكواة لداء الفوضى المستفحل . فقبض على ازمة الجيش قبضة الحاكم القاهر وانتزعه من الشيوخ الواهنين والشبان الاغرار فكفر الجيش عن سيئاته الماضية كلها واشتد كاهله في بضعة اشهر وساد فيه الضبط والنظام ولم بعد يستطيع اذا نودي به الى الحرب الا ان يفدي نفسه وبيذل دمه . وارزاء الماضي القريب تدعو الى اجتناب كل خلاف وتحذر من دخول

معامع السياسة مرة ثانية .

بقي الجيش العثماني اربع سنين يناضل احوال الطبيعة وشدائدھا  
ويقاتل خصوما اقرباء اكثر منه عددا وعدة وهو خاوي الفؤاد  
عاري الجسد خائر القوى . فلقاتل انت يقول ان التاريخ لم  
يشهد مثل ذلك .

دخلنا الحرب في عبد الاضحى فسألت عزت باشا اذا كان  
يرجى منا الفوز في هذا الحرب فقال ان رجاء الفوز تابع لنسبة  
القوة الى المقاومة ومجموع قوى المانيا والنمسا اضعف من روسيا  
وفرنسا وانكثرا فهذه النسبة ليست في جانب الالمان . ويلوح لي  
ايضا ان الجيش الالماني جيش عظيم ولكن لم يتيسر له القائد الكفء .  
فاذا كانت هذه هي النسبة في مبتدأ الحرب فما عسى ان  
يقال اذا اضفنا اليها ايطاليا ورومانيا واميركا ؟ فيا بوؤس تركيا  
ماذا خبأ لها جدها العاثر ؟!

لا ينكر على الجيش الالماني عظم خطره وعلو مكائده .  
ولكن هل كان القيصر غليوم قائده الاكبر والجنرال « مولتكه »  
رئيس اركان حرب به مضطلمين باعبائه ؟ وهل يستطيع انسان ان يكون  
صاحب السلطان في مملكة كبرى واخصائيا في الزمن نفسه بتمبئة  
حيش عمره . مؤلف من ملايين فيقوده قيادة حسنة وينفر به

عن مواقف الزلل ومواضع الخطل .  
ان حشد الجيش فن كسائر الفنون وصناعة كسائر  
الصناعات فعلى من يريد ان يمتاز به ان يقتصر في حياته عليه  
ويكون في مواهبه الفطرية اهلا له .

وكان القيصر يدعي فوق ذلك ان له معرفة بالخطابة  
والآثار العتيقة والعمارة والموسيقى على ان القرن العشرين هو قرن  
تقاسم الاعمال والمساعي ، قرن الاختصاص والتحرر فلا يستطيع  
انسان وان كان هو القيصر الالماني ان يدعي بانه عارف  
باشياء كثيرة .

ان القيصر من الفريق الذي ينعتة الافرنسيون بانه يلم  
بكل شيء ولا يجيد شيئا ولكنه ليس كاحد من الناس بل هو  
شديد الخطر في تماطيه كل شيء .

في سنة ١٨٢٠ كان غليوم الاول قائدا عاما وكان الجنرال  
« مولتكة » رئيس اركان حربه وداهية عصره . ومن اعظم  
مزايا غليوم الاول انه كان يختار الرجال الافذاذ الذين يجزل الدهر  
بمثلهم كالكونت « بسمارك » والجنرال « رونيه » والجنرال « مولتكة »  
اما الجنرال مولتكة رئيس اركان الحرب في سنة ١٩١٤  
لم يكن له من ( مولتكة الكبير ) الا اسمه ، دع ان سنة ١٨٢٠ غير

سنة ١٩١٤ والبون بينهما شاسع .

وقد كنت سمعت كلمة عن لسان القيصر لما قلده الجنرال  
مواتكه رئاسة اركان الحرب يرد بها على المعارضين في تعيينه  
والمتميزين بكفائته قبل الحرب بسنين وهي : « اتى رئيس اركان  
الحرب في الحرب واما في السلم فخسبى منه الاسم » وفي هذه الكلمة  
كفاية في تعرف العجب الذي تطوي عليه جوانحه والانانية  
المفرطة التي يحملها في قلبه .

وما اعظم التباين بين غليوم الاول الذي كان يحل اعظم  
دهره ويبرهن بذلك على عظمتة الحقيقية وبين سليل آل  
« هوهنزولرن » الاخير الذي كان يقصى الاكفاء عن منازل الحكماء  
وهذا التباين هو الذي حمل العالم باسره فيما ارى على مقاتلة  
الدول الوسطى وكان السبب الفرد في اضمحلال جيوشها  
وغروب نجومها .

الا انه درس موجه لاصحاب السلطان الذين يستوحشون  
من الاكفاء البارعين .

وهنا اتقل بعض ما دونه بسمارك في خواطره :  
« كان القيصر الشاب قد اذاع اذاعة عامة على خلاف رأي  
مستشاره بسمارك فقال لرجل ياتمه على السر :

« لقد كتب بقلمه هذه الاذاعة وهو يثق بنفسه ثقة عمياء  
ولكن عقله لا يدرك حقيقة امره ولا ثمر هذه الاذاعة الا الشر،  
وقد افضيت له برأبي ولكنه على جانب عظيم من الكبرياء  
لا يرى معها ان يتنازل الى سماعه »

ولما بحث البرنس بسمارك عن استقالته قال : « صحت  
عزيمتي على الاستقالة وكنت احسب انه يشكر لي صنيعتي اذا  
بقيت معه سنين اخرى ولكن علمت انه يرغب من صميم فؤاده  
ان يتخاض مني باقرب آن فيسوس البلاد برأيه وحده ولا  
يشاركه احد بالشرف والمكانة في تدبير المملكة »

« لقد ماني وبرم بي واخذ يرمي بيصره الى عبد اكثر طواعية  
مني ، ومعاذ الله ان اسجد له او ارضى بان اكون كلبا يتبعه . انه  
يريد ان يخاصم روسيا التي تمكنت من التقرب اليها »

« سئمت دسائس القصر والوف الرذائل ونقارير العيون  
والجواسيس ولذلك لم ارحم محبصا من الاستعفاء ولا معدلا عن  
صيانة نفسي من مواقف الضعة والهوان امام شاب غر يكافئني  
على سابق اعماله وجهودي بمثل هذه المكافئة . »

« تم استعفائي على غير رغبة مني وقد اراد القيصر ان يخفي  
حقيقة الامر عن عيون الرأي العام فذهب اليه رجل تخرج على

يديّ وقال انني مصاب بالمورفين فاستدعى القيصر الشاب طيبي  
وسأله ان يعطيه تقريراً يعزي فيه استعفائي الى اسباب صحية  
فأبى الطيب ذلك ا

« يا لها من مثلبة اخلاقية ، انهم لم يجمعوا عن اجتراح اي  
سيئة في سبيل مرضاته » .

واني غني عن التقية على هذه الكلمات

— منأ غزوة مصر —

لم تثبت الحوادث مقدرة اسطولنا على ادراك السيادة في  
البحر الاسود فاغفلت الفكرة القائلة بنزول الجيش الثاني في  
ساحل القفقاس واخذت النفوس تمايل شيئاً فشيئاً الى غزو  
مصر بعد ان وجدنا ذلك الباب مغلقاً

ان في حديث غزوة مصر شاعرية جذابة وخيالاً بديعاً .  
فمن الذي استخرج هذا الخيال واثار هذا الدفين ؟ والغالب انه من  
بنات فكر الزعيم كريس بك وقد اوحى اليه به من المعسكر الالمانى  
يقولون ان الشرق موطن الشعر والخيال ولا اظن شرقياً  
عرضت له هذه السانحة .

لم يكن للدول الوسطى اتصال ببريطانيا الا من جهة مصر  
وعلاوة على هذا فان قناة السويس كانت سبيل الجيوش التي

تقلها بريطانيا العظمى من مستعمراتها في آسيا واورقيانوسيا فاذا  
تعذر فتح مصر لم يكن متعذرا اعاقه هذه الجيوش وابقاؤها اياما  
طوالا في قناة السويس واقصاؤها عن ساحات القتال الاورية  
التي فيها تبلغ الحرب اجلها

هذا هو وجه الغزوة من طريقة فن التعبئة ولكن لم يشر  
احد اليه ولم تنشره البلاغات والبيانات التي كانت تذاع كل يوم  
بغير الفتح الذي سلب لب الامة واستهوى فؤادها وسحرها بمنظر  
الاهرام الخلابه وحل منها محلا غلب على كل شيء .

وكان ذكي باشا الحلبي قائد الجيش الرابع ولي هذا الامر  
بادي الرأي وقد عارض فيه بجرأة عظيمة واثبت تعذر الاتيان  
به مستندا على حسابات مختلفة وبراهين ساطعة .

وقد اصاب كبد الحقيقة فان الجيش الذي يريد ان يتوجه  
الى القناة يحتاج الى سكة حديدية اولها عند محطة (سان سباستيا)  
التي لم يتم انشاؤها وبينها وبين نابلس مسيرة ١١ كيلومترا ،  
وبينها وبين قناة السويس مسيرة ٥٠٠ كيلومتر ومن هذه  
المسافة ١٠٠ كيلومتر كلها في صحراء التيه الجرداء القاحلة التي  
لا يجد فيها المرء ما يقوته ويبل ظمأه ، وكذلك فان البقاع الممتدة  
بين ( سان سباستيا ) وبين بئر السبع تفتقر الى غيرها في معيشتها



ايام السلم فضلا عن ايام الحرب .

ومن جملة المصاعب نقل ارزاق الجيش وموئنه ومعدائه مسافة  
خمسماية كيلومترو حمل المياه للمقاتلة والدواب على ظهور الجمال  
مدة ايام واذا ذلت كل هذه العقبات فان الجيش يصل الى قناة  
الدويس و يقف امام العدد الانكليزية وجها لوجه .

كل ما ينفق في هذا السيل من جهد وعزيمة لا يؤدي الا  
الى نتيجة واحدة وهي ان يدخل الجيش العثماني في ساحة مرمى  
القنابل الانكليزية حيث اقيمت المعاول المنيعه على عدوة القناة  
الثانية بيد ان كل برهان وكل حساب وكل حكمة كان يذهب  
ضياعا وقد حرم البحث في مجال الحقائق والممكنات وقرر القيام  
بغزوة مصر كيفما كان الرأي وارسل ذكي باشا الذي اعمل فكرته  
واستخرج حسابه الى المعسكر الالماني بصفة مندوب عسكري  
عثماني وقلد جمال باشا ( الصغير ) قائد الفيلق الثامن قيادة الحملة  
وولي رئاسة اركان حرب به فون كريس مخترع هذه الفكرة وعين  
الزعيم علي فواد بك ( امير اللواء الآت ) رئيس اركان حرب  
الفيلق قائدا للفرقة الخامسة والعشرين التي هي اساس الحملة ،  
وتولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع . وقد هز هذا النبا مقر  
الجيش هزة لاتوصف فرغب كل انسان ان يذهب معه و يقذف

بنفسه في صحراء التيه ومجاهلها . وكان ملاك الجيش الرابع ناقصا فأتم بضباط من مقر الجيش الثاني وصحب جمالا بعض ضباط اركان الحرب . اما الذين خلفوا في الآستانة فقد ذهب بهم اليأس وتولاهم القنوط .

وللهياج سلطان كبير على القلوب تضطرم فيه العواطف وتحكم بالعقل وتغلب عليه . وغزوة مصر من زناد ذلك الهياج القادحة . وكان علينا ان نقنع انفسنا ونتزع الشبهات من صدورنا حتى نتولى اثناع غيرنا وكل شبهة تلم بنا او شك نهوي اليه هو الكفر او من دونه الكفر بالنظر الى مسا في قلوبنا من السوانح الملوية الصافية مقام مقام العلم والرأي والفن : العقيدة والايان والرجاء .

سار بعد ذلك معسكر الجيش الرابع الجديد في اخريات خربف رائق بهيج من محطة حيدر باشا وضلوعه تكاد تنحني على ذلك الايمان الراسخ وجاء فبعه مئات الوطنيين يدعون له باليمن والسعد . وقد استوقف الانظار حينئذ القائد رأفت بك الذي كان مرتديا كسوة رمادية جميلة لا ينفذ الماء منها ترمز الى صحراء التيه وتستهوى القلوب بذكراها .



### ٣ - في سوريا

رحل معسكر الجيش من الآستانة الى سور يا رحلة ذات رونق وبهاء وابهة وجلال ، فكان الناس يخرجون لاستقبالنا في كل موقف من مواقف المطار على اختلاف طبقاتهم من العلماء والكبراء ورجال الملكية والعسكرية وعامة الامة وصبيان المدارس فيلقون الخطب بين يدي جمال و يرفعون اصواتهم بالدعاء زرناني ( قونية ) حضرة مولانا جلال الدين الرومي وزاره معنا رئيس اركان الحرب الالماني وفي نفوسنا من هذه الزيارة اثر روحاني ملانا يقينا ورجاء ، وقد اقلتنا السيارات من ( بوزانطي ) وقطعنا مضيق ( كوك ) الشهير الذي شهد موكب الاسكندر الجليل ومواكب الغزاة الفاتحين بين اوروبا وآسيا فلا يبرح مدلا بنفسه ، معجبا بمكاته . واستقبلنا التلاميذ في اطنه وطرسوس ولاسكندرونة بالرايات وهم ينشدون اناشيد الانتقام للروملي وفي جماتهم بنيات يتامى يرددنها بصوت شج يستدر العبرات ويرمض<sup>(١)</sup> الخواطر

وما اكثر ما يجب علينا وما اكثر ما حملنا الدهر اياه ، وطالبنا

( ١ ) رمض اليوم « او الخاطر » : اشتد حره

به كفتح مصر واسترداد الروملي ؟؟

امطرت السماء بادية ( كيليكيا ) مطرا وابلا منهمرا سالت  
به القيعان والاوودية وطفت<sup>(١)</sup> المياه في بعض الاماكن فازالت  
خطوط السكة الحديدية عن مواضعها واضطرتنا الى قطع مراحل  
على ظهور الخيل بسبب السيول والمياه الطاغية

كان مسيرنا بين ( طو براق قلعة ) والاسكندرونة في ليلة  
اضميانه<sup>(٢)</sup> قراء لاناساها ماحييت مها نسيت بين امواج بحر  
الروم وبين هدير السيول ، وفي هواء طلق عقب بارواح الجنائن  
والخائل<sup>(٣)</sup>

كاد يكون الطريق الذي مرنا فيه باجمعه غمورا بالمياه  
شديد الحزونة والوعوثة<sup>(٤)</sup> غير اننا لم نعبأ بهذه المتاعب  
كانت خيالات الاهرام تروح عنا وتنفس كربنا وكان  
نسمات كيليكيا العليلة وذلك البحر اللحي الذي ارسل عليه القمر  
اشعته سقيانا كما من رحيق<sup>(٥)</sup> مختوم دارت في رؤوسنا سكرته

( ١ ) طغى : جاوز الحد ، وطغى السيل : جاء بجم كثير

( ٢ ) اضميانه : نورها كنور الضحى « والضحى ارتفاع النهار »

( ٣ ) الخيالة : الشجر المجتميع الكثيف

( ٤ ) الحزونة والوعوثة : غلظ الارض وشدتها

( ٥ ) الرحيق : صفوة الخمر

وذهبت بنا كل مذهب فلا ترجع اليانا نفوسنا الا عند مهواة  
سحيقة<sup>(١)</sup> او قطع من الصخور مبعثرة او عند روية بواخر رصد  
تشق عباب اليم ولكن لا تلبث سكرة الخيال ان تعود فتستولي  
علينا وتستنأف سيرتها الاولى .

ولقينا في حلب وحماه وحمص وبعابك من الخفاوة والاكرام  
اوقع مما تقدم . فكان الشعراء يتلون قصائدهم الحماسية ويجلون بما  
اوتوه من بلاغة فاتح مصر ويسجلون له الفتح قبل وقوعه جزاء  
مقدما له . اما نا فقد كانت تعرض في خاطري رحلة ( الجنرال  
كورباتكين ) من بطرسبورج الى الشرق الاقصى في غضون  
الحرب الرومية - اليابانية مأمورا بالبحر والظفر وكنت اذكر  
غير مختار ماقيه من الخفاوة حيثما مرت سوابقه .

رحل الجنرال كورباتكين هذه الرحلة تحف به الدعوات  
التصاعدة وتحوم حوله آمال الملايين من النفوس ولكن بنا حد  
حسامه واسودت وجوه آماله فتخلى الجيش الروسي عن (موكدن)  
بعد حرب استمرت عشرة ايام وانجلى عن منشور يا كلها ولم يبق  
لسلطنة الروس رجاء في الشرق الاقصى بعد الحريق الذي سعرته  
موخرة جيشهم في موكدن ، ولو ان الجنرال كورباتكين اعمل

(١) المهواة : ما بين الجبلين ، والسحيق : البعيد والعميق

رأيه في آمال قومه وفي القوى اليابانية التي يعودها (المارشال  
اوياما) ونظر في الامر نظرة عسكري حاذق ، لاخذ المقيم  
المقعد واضطرب اضطرابا شديداً .

ولا شيء ادمى لقلب المرء من سوآل الطيبين الطاهرين  
اياهم والحاحهم عليه بان ينجز لهم عملا ليس في مقدوره انجزه .  
غير أن ملاح جمال باشا ومخايل وجهه لم تكن تدل على شيء من  
هذا الاضطراب بل كان يُرى ( ثالث الثلاثة في تركيا )  
متمكناً من نفسه متمسكا في عواطفه ، مسيطرا على ميوله ،  
مردداً فيمن حوله نظرات ساجية مستقرة كأنها تنادي بان الآمال  
في محالها وانه حقيق بكل ما قيل من شعر وعمل من حفاوة .

اما دمشق فقد اعدت انخم المواكب وازهاها : تلك  
المدينة التي استقر فيها ملك ( ابناء حرب ) وبلغت قمة العز في  
ايام آل مروان ، ايام امتد سلطان العرب فوصل الشرق بالغرب  
وخيم في بلاد تعد مائة الف الف من النفوس . ولقد حاول  
( تيمورلنك ) ان يطمس آثارها ويخفي معالمها فاطلق في ربوعها  
النار واعمل في اهلها السيف وغادرها قاعا صفضاً في وسط  
بستان فسيحة ومياه دافقة ، الا ان تاريخ دمشق الزاهر ومكانها  
الجغرافي الباهر ابقياها للعرب مركز عز خالد ومستقر ملك معنوي لم

تقويد تيمورلنك ولا غير الزمان على طي بهجتها واعفاء رسومها  
وقد استقبلنا في دمشق استقبالا حافلا ليس فيه زيادة  
لمستزبد فازينت المدينة احتفاءً بقدوم فاتح مصر وتراكم  
الالوف من الناس الى موقف القطار وفيهم رجال الدولة وقادة  
جندها وسادة البلاد وعلماؤها وخطباؤها وشعراؤها وقناصل  
الحكومات فيها وذبحت الاضاحي والقيت القصائد الغر التي  
هي اشبه شيء باحاديث المناجاة وانصرف الناس مبتهجين  
متحمسين وكان يوماً لا نظير له .

ثم استقر معسكر الجيش في فندق ( داماسكوس بالاس )  
وباشر عمله بمنتهى العزيمة والهمة .

وفي مساء ذلك اليوم اي في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٣٣٠  
برح دمشق ذكي باشا قائد الجيش الرابع السابق وسار به القطار  
ساكنا ساكتا متطامنا<sup>(١)</sup> لم يشعر بخبره الا قليل من الناس .

(١) تطامن واطمان اليه : سكن اليه



## ٤- التأهب لغزوة مصر

- تعبئة الفيلق الثامن - نواقصه الكبيرة -
- فون كريس - مجاهل الصحراء - الحقيقة
- والخيال - النزاع بين كريس وفلكتنهاين -
- ملاك البادية = القطرات والقوافل -
- تدابير المنزل - الحشد والتعبئة -
- التربص في الحدود .

رأينا ان الفيلق الثامن هو الذي كان يأخذ الالهة لغزو مصر وقد زجى جيشا على حسب انظمة الحرب لسير الى القناة ويتألف هذا الجيش من ١٠ كتائب و ٣ سرايا مدافع رشاشة و ٧ بطاريات مدفعية فيها مدافع صحراء ومدافع جبلية و بطارية مدافع من طراز ( اوبوس ) سريعة الطلق ولواء هجانة وكتيبة استحكام وامثال ذلك . وقد اختيرت هذه الكتائب من الفرق ال ٢٣ وال ٢٥ وال ٢٧ وهي التي تولف الفيلق الثامن وبذلك بدأت الانظمة الاساسية ولم يكن قد اجتمع في الوجة الفيلق الكتائب الثلاثة من المشاة وقد استبدل الهجانة بالفرسان بسبب المياه والمعاش وارتدى الهجانة البسة العثمانيين القدماء من السراويل والجزم والاردية القصيرة وعقدوا على رؤوسهم



عمائم رمادية فوقها هلال .

وكانت التجريدة مؤلفة من قلب وجناحين ، في القلب  
٣٧١ ضابطا و١١٤٦ جنديا و٨١١ حصانا و١٨ ذلولا و١٥٠  
سائقا و١٤٤٤ بعيرا . وفي الجناح الايمن ٣٣ ضابطا و١٣٨٦  
جنديا و٥٥ حصانا و٩٥ سائقا و٤٣ بعيرا وفي الجناح الايسر ٣٢  
ضابطا و١٣٨٦ جنديا و٨٨٧ حصانا و١٨ ذلولا و٢٠٧ من  
السائقين و١٥٣٤ بعيرا وهذا هو الفريق الاول وتليه الفرقة  
العاشرة وهي من خيرة الجند التركي .

ويكون في سوريا وفلسطين معسكر بقية الفيلق الثامن ،  
والفيلق الثاني عشر الذي قدمها من الموصل بقيادة نخري باشا  
وتتم فرقتاه الـ ٣٥ والـ ٣٦ ما ينقصهما في منازلها بجوار  
حلب وحماه .

لم يكن لدى التجريدة طائرات ولا برك لاسلكي وامثالهما  
من العدد الفنية المستحدثة وقد أمر القلب بالتوجه من بئر السبع  
الى الاسماعيلية وأمر الجناح الايمن باتباع طريق (غزة - العريش -  
المنظرة) وأمر الجناح الايسر بالسير من قلعة النخل والسويس .  
وهدتيسر لمعظم الجيش محاذة الساحل بسبب قبض البريطانيين  
على زمام السيادة البحرية - ولم يكن له غير الامعان في قلب

الصحراء وقطع فلواتها بعد حفر الهوجة بدون طريق واضحة  
ولا خارطة منظمة .

فعلى هذه الحملة ان تكون اول من يخوض تلك الجاهل  
باعتبارها واتقائها مثل مدافع الصحراء والمدافع الثقيلة والجسور .  
وقد قضت عقباتها وشدائد الطبيعة فيها وفقدان وسائل النقل  
واستعاضتها بالابل والاقلال من هذه خشية الجوع والظلم واشباه  
ذلك باغفال الاساليب العسكرية والقواعد الفنية واتخاذ طرائق  
جديدة تناسب طبيعة الزمان والمكان .

لقد كانت هذه الحملة نسيجة وحدها وفريدة دهرها فوجب  
ان يكون نظام الطعام والشراب والنقل على حسبها لاعلى حسب  
المناهج التي تسلكها جميع الممالك المتقدمة في انظمتها واوضاعها  
العسكرية . فكان تجارب العصور وعبر الايام وكل شيء من علم  
ومعرفة اضمحج فجأة امام نفحة من نفحات سيناء ! ولزم احياء  
خلق جديد من العدم ، ولعمر الحق لقد كان ذلك . .

ما اكثر المساعي التي بذلها (فون كريس بك) في سبيل  
معونة قائد الفيلق الثامن وتدارك ما تحتاج اليه الحملة ؟ كسرت  
رباعيته في بكور يوم وكان غاديا في سيارته على معسكر  
الفيلق فاصيبت سيارته ولم تكن عزيمته بل مضى في سبيل ما قصد

له واجل مداواة جرحه الدامي الى حين الراحة . وكان دوءه وبا  
بعيد المهمة لا يستر بح قلبه ولا يحف لبدنه<sup>(١)</sup> ولا تقف رجلاه وما من  
يوم من ايام الصيف ولا ايام الشتاء ذر<sup>(٢)</sup> فيه قرن الشمس ولم  
يباشر اعماله .

لم يعرف له مثيل في شدة عزمه وبأسه وجراته وطموحه  
واقناع مخاطبه والتأثير عليه تأثيرا يسحر قلبه ويختلب لبه ، والقدرة  
على الاختراع والابداع وغير ذلك من المناقب النادرة . ولم يكن  
ينقصه غير شيء واحد وهو صحة الرأي وبعد النظر . وكانت  
الطبيعة وهبته كل شيء ليكون عسكريا بارعا ثم عدلت عن ذلك  
على حين بغتة فخرته العقل الراجح

و كنت أرى في اطواره وطباعه من رقة الحاشية ولين  
الجانب وكرم الاخلاق ما لم اكن اراه في ضابط الماني غيره . وهو  
من ابناء اسرة عربية نبيلة في ( بافاريا ) وقد انتخب من لجنة  
الاصلاح العسكري الالمانية وقلد ادارة مدرسة الرمي المختصة  
بمدافع الصحراء فابقي في قلوب ضباط المدفعية اعظم اثر يذكر له من  
معارفه العسكرية الواسعة وعلاوة على ما سلفناه فانه قاوم بعض

(١) في الاساس : ومن المجاز فلان لا يحف لبدنه : اذا لم يزل يتردد

(٢) ذرت الشمس تذر ذرورا « بالضم » : طلعت

رؤسائه الذين كانوا يرمون الى الاتيان بعدد مدفعية جديدة المانية  
ورد عليهم قائلاً : « ان في الجيش العثماني ، ايكفيه من السلاح  
وحسبهم ان يحسنوا استعماله ، ولا تسمح الخزينة العثمانية  
بالاسراف في اشتراء اسلحة جديدة »

تبين لنا ان كريس بك كان على جانب عظيم من مكارم  
الاخلاق و شرف الطباع وقد نقل من مدرسة الرمي الى رئاسة  
دائرة الجيش في وزارة الحربية ، ولما كانت المدة التي أنفقت في  
سبيل اصلاح الجيش بين الحرب البلقانية والحرب العامة غير  
مجزئة لاعداد الجيش اعدادا كافيا ، لزم تدارك بعض اثاره على  
جناح السرعة فكانت كريس بك في هذه الايام العصبية روح  
الحركة والنشاط

وقد روى عنه فتى من ار كان الحرب انه قال لما أعلن التنفير  
العام : الآن تم كل شيء . وقد وقع عليه اختيار وزارة الحربية  
ليذهب ويتكلم باسمها في مجلس الوزراء و بقمم البراهين على وجوب  
اعلان التنفير العام منذ ابتدأت الحرب الاوربية

وتولى كريس بك الذي ظهر هذا المظهر الجليل ادارة شعبة  
الاعمال الحربية في المعسكر العام . فالخطة التي سار عليها الجيش  
العثماني من صنعه ووضعه

ولم التي على ضابط من ار كلن الجرب هو آل فرض فيه نشوب  
جرب عامة = قبل ان نشبت = وسئل عن الخطة التي ينبغي على  
الجيش العثماني ان يقف عندها وجاء جوابه موافقا لما رسمه فون  
كريس ، لكان نصيبه السقوط حتما . فهدت سارت فرقة بغداد  
١٢١١ التي هي من الفيلق الثالث عشر الى وان مشياً على الاقدام  
وتوجهت فرقة الموصل ١٣١١ الى حلب ثم الى حماه ، وبرز الفيلق  
السادس حاب الى الآستانة وذهب الفيلق العاشر من سيواس  
الى صامسون ليهدد بالتزول في اوده سا

وعلى هذه الخطة سحب الجيش من العراق وحرم جيش  
ارزروم من قاعدته المكينة في سيواس ، وهلكت الفرقة الثالثة  
عشرة في سيواس لانها لم تألف اقليمها . ولكن اعيد بعد ذلك  
قسم من الفيلق الثاني عشر الى العراق وسبق الفيلق العاشر الى  
ارزروم وارسلت الفرقة ٨١١ و ١٠١١ من الآستانة وازمير الى سوريا  
بدلا من الفيلق السادس الذي جرد من حلب وارسل الى الآستانة ،  
وهذه الخطة القوية التي يوحى بها العقل ويامر باتباعها باديء  
الرأي لم تنفذ الا والبلاء مجدق في البلاد ، غير ان المعسكر العام  
لم يزل يرى في الخطة السابقة اثرا نفيسا من الصناعة البديعة  
والمعرفة الدقيقة .

وبعد ان اتم الجيش تعبثته وتزجيته ارسلت (ادارة الاعمال الحربية) الى سوريا لتبلغ من الاقدار ما هو اعلى رتبة واسمى منزلة ! وبقي كريس بك في سوريا يتقلب في المناصب الرفيعة والمراتب الشريفة فاشترك في حملة القناة وكان له منها نصيب وافر بصفته رئيس اركان حرب الفيلق الثامن ، ثم ولي قيادة الصحراء وبعدها رئاسة اركان الحرب في الجيش الرابع ثم جهزت تجريدة ثانية على القناة اكثر عدة وعددا من التجريدة الاولى ووضعت تحت قيادته وله منزلة قائد فيلق واختصاصه ، ثم عين قائدا للفيلق الثاني والعشرين في حدود سيناء ثم رقي الى قيادة هذه الساحة وولي بعدها قيادة الفيلق الثامن .

فاصبحت تلك القفلة مجالا واسعا لفنون كريس يستنفد فيها قوى الترك التي لاتنفد — على رأيه — فيجوب قفارها وينفض اجوازها ، وتأتيه مشكاة من نور قدر لها من الإزل ان تضيء في صحراء التيه !

وفي كل هذه الاعمال كان كريس بك ( او كريس باشا ) جامعا لاشرف الخصال واحسن المزايا العسكرية والشخصية ولم يحرم الا من رجاحة العقل . وما في الدنيا عسكري بذل مثلاما بذل كريس من التفاني ومن العزيمة والهمة في سبيل فكرة يقدها

ويعتقد بصحتها .

وقد اتخذ (الابن) مستقرا له في اثناء قيادته الصحراء وهو  
مكان في جوف سيناء دارس الاطلال طامس المعالم اطلق عليه  
لقب الابن لاماء فيه ولا مرعى ولا ثمار ولا يحتوي من الاجسام  
الحية على غير الاسود<sup>(١)</sup> والعقارب وبقايا الحيوانات البائدة .  
ومضى قائد الصحراء يكافح شدائد الطبيعة واعاصير<sup>(٢)</sup> البادية التي  
كانت تنافس الطيارات في اعاقة النقل واقامة العقبات في تلك المغاوز  
فهل كان من الحكمة وحسن التدبير ياترى مقاومة تلك  
الشدائد ومغالبة تلك المصاعب لاجل القناة ؟ وهل يأذن العلم  
والفن يبذل تلك الجهود ؟ لاسيما وقد انشأ البريطانيون سلاسل  
من المعازل المنيعة في شرقي القناة على احدث نظام عسكري وأتم  
اسلوب بلقتهما المدارك البشرية . وهل كان في وجوه الرجاء ان  
تغلب تجريدة عسكرية على هذه المعازل ؟

ولا ينكر ان البريطانيين نخرروا قوى كبيرة وانفقوا اموالا  
كثيرة ووجدوا حياهم قلائل مستمرة في حدود مصر واذا امسكنا  
عن القول بما في علمنا من الصواب والخطأ - وليس هذا الامسك

(١) جمع اسود : وهو العظيم من الحيات

(٢) جمع اعصار : وهي ريح تثير الغبار فيرتفع الى السماء كأنه عمود

بالامر اليسير - لرأيتاه عملا جليلا بعيد الاثر ، شريف الذكر ،  
رفيع المنزلة ، زاهر التاريخ وهو ولا ريب فيه من اعظم المساعي  
التي صدمت فيها قدرة البشر وطاقاتهم شدايد الطبيعة واهوالها  
ونازلتها منازل الاقران للاقران .

ففي سنتين مهدت السبل التي تمتد الى جوار القناة  
واستبطلت الينابيع واحتفرت الاقنية وانشئت الحياض وبنيت  
السدود ومدت المسالك الحديدية وغرست الجنائن وشيدت  
المباني والمستشفيات والانابيب وقد عبد من الطرق في غضون  
الحرب ما يبلغ طوله ١٠٠٠ كيلومتر في سوريا وفلسطين وسيناء  
و٥٠٠ كيلومتر من خطوط السكك الحديدية .

وليس كريس بك وحده هو الذي اتى بذلك كله بل ان  
هذا الرجل الذي لم يكن يرضى ان يسطع في التيه كوكب  
بجانب كوكبه لم يكن يستحسن القيام بكل تلك الاعمال الواسعة  
ولكن اليس كريس بك هو اول من اثار هذه الفكرة  
في نفوس الترك وساقهم الى سيناء ؟ ، الا اننا جميعا اقتفينا  
آثاره ووقفنا عندما رسم لنا

وهنا يجدر بي ذكر قول « الطان » :

« لقد جاء الترك في سيناء بعمل عظيم » ، ولكن ماذا تعني



معالجة الامور المستجيبة ومحاولة تذليلها ؟

اول ما يجب السعي اليه في الاعمال العسكرية والسياسة هو ابتغاء النجاح والتميز بين الحقيقة والحبال ، والممكن والمستحيل تمييزا لا يعترضه الشك ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وما فائدة المساعي التي تبذل والفكرة التي تعمل والجهود التي تسخر اذا لم يكن العمل في اساسه مستندا على الحقائق والممكنات ؟ واذا كان العمل مستجيلا افلا تكون مضاعفة العزائم والالتعاب والاضاحي سببا في زيادة الخسران ؟

على انه عقدت بنودنا بالظفر في معركتين نشبتا في سيناء وكان كريس قائد هذه الساحة ولقد كان من الممكن ان ينقلنا الى هزيمة بسبب عناده ، ولو تم ذلك لاضعنا سوريا من زمن بعيد ولما قلد الجنرال « فلكنهاين » القيادة العامة في ساحة سوريا وفلسطين كان بينه وبين كريس حالة اشبه بالبراز ، فلم يكن يصغي ( كريس ) الى فلكنهاين الذي يفوقه علما وتجربة ومقدرة ويتقدم عليه تقديما بعيدا لانه يرى نفسه الاخصائي الفرد في شوون البادية فيضطر فلكنهاين الى مجاراته والتنازل له عن آرائه في بعض الاحيان وقد ادى تنازع الرجلين الالمانيين الى انسحاب الفيلق العثماني الذي كان مرابطا في بئر السبع ، وقال

لي قائد هذا الفيلق قبل ذلك في حديث له ينم عن شعوره بقرب حلول النازلة: انني ارى غون كريس شوّما على بلادنا .  
اما اعمال الفيلق الثامن التي تعد من الحوادث فهي  
تُجمل بما يلي:

١ - مراك البادية: واساس هذا الملاك حذف اعباء الجيش الثقيلة وتخفيض اثقال الضباط الى خمسة كيلولاجل كل واحد وتقايل عدد الدواب التي تحتاج الى شبع وري بقدر ما استطاع واخراج الذين هم عالة على الجيش من غير المحاربين كوظفي الحساب والخدم والحواشي واشباههم ولم يستبق من هذا النمط غير الائمة .

ولما لم يكن لدى الجيش خيام ومضارب كان عليهم ان يتاموا في الفضاء وقد اعطي كل طابور مضربا او مضربين لاجل المرضى .

هذا هو ملاك البادية الذي خلقت اجزائه خاتما جديدا وارتكنت عليه حملة مصر . وكان على حسيه معسكر الفيلق مؤلفا من ١٨ ضابطا و ٢٢ جنديا و ١٥ حصانا و ١٨ ذلولا و ٧ اباعر وكان طابور المشاة مؤلفا من ٢٢ ضابطا و ٨٩٥ جنديا و ٦ حصنة و ٢٢ بعيرا وكانت سرية بلوك الرشاش تحوي ٤ ضباط

و٩٣ جنديا وحصانا واحدا و٢٨ سائقا و٧ اباعر . والبطارية  
السريعة تتألف من ثلاثة ضباط و١٤٢ جنديا و١٠٨ من الاحصنة  
٢ - الجريئة : يتناول كل فرد في اليوم ٦٠٠ غرام بقسماط

و١٥٠ غرام تمر و٩ غرامات شاي

٣ - نظمة القطارات والقوافل : ألفت خمس كتائب هجانة

لاجل نقل الارزاق والمياه . فالكتيبة الاولى وهي ٢٥ زمرة  
تحمل ماء والكتيبة الثانية كذلك وهي تتألف من ٢٥ زمرة  
فيها وفاء الخمسين . وكانت الكتيبة الثالثة تحمل مؤونة وهي  
تتألف من ١٠ زمر ، وهذه الكتائب الثلاثة تابعة للقلب :

واما الرابعة والخامسة فقد كانتا تحملان ماء ومؤونة وكل  
واحدة منهما تتألف من ١٠ زمر خصصت لاحد الجناحين .  
وكان في كل زمرة من زمر المؤونة ١٢٨ بييرا تحمل جرابية  
يوم للقلب . وفي كل زمرة من زمر الماء ٩٢ بييرا وعلى كل  
خمسة منها ان تحمل ماء يوم للقلب . وعلى كل زمرة مختلطة  
ان تكفي جناحها طعام يوم واحد وشرايه فيخرج من ذلك ان  
زمر الابعار تحمل طعام عشرة ايام وشرايها فقط . ماعدا الذي  
يحملة كل فرد من ماء وغذاء

وقد وضعت تعاليم مسهبة فيما يتعلق بقطارات الارزاق

والمياه وعدد اباعرها ومقدار حملتها :

فيحمل بموجبها كل بعير من ٨٥ بعيراً في كل زمرة مؤونة  
كيسي شعير و كيس بقسماط وزق ماء فيكون مجموع ما تحمله كل  
زمرة مؤونة ١٧٠ كيس شعير و ١٥٦ كيس بقسماط و ٢٢ كيس  
تمر ، وعلاوة على ذلك ففي كل زمرة ٦ اباعر يحمل كل منها ٢٠٠  
كيلو ماء سدا لحاجتها في عشرة ايام و ٧ اباعر يحمل كل منها  
كيس شعير و كيس تمر و تنكة شاي

اما زمر الماء فقد كان على كل بعيران يحمل ١٨٠ كيلو ماء

وتختلف اوعية المياه وعددها بالنظر الى سعتها

وقد كان على كل زمرة ماء ان تحمل لمن فيها من الاباعر والجنود  
ما فيه سداد حاجتهم لمدة عشرة ايام . وقد الف في القلب ثمانية  
زمر لاجل ذخيرة البطاريات الثقيلة وزمرتان لاجل بطاريات  
الصحراء الخفيفة وواحدة لاجل المشاة ولكل مدفع من مدافع  
( اوبوس ) ٦٠٠ قنبلة ، وتتألف كل زمرة ذخيرة من ٨٧ بعيراً  
ويحمل كل بعير اربعة قنابل للمدافع الكبيرة او ١٦ لمدافع  
الصحراء او ٥٢ للمدافع الجبلية او ٤ صناديق للمشاة

٤ = نظام السير : = الزمان

ينهض الجندي في الساعة الرابعة صباحاً وتقوم المقدمة في الساعة

١١ ١٣٠٥ و يسير سواد الجيش في الساعة ٦ وتكون الاستراحة  
الاولى من الساعة السابعة الى ١١ ١٣٠٧ وتكون استراحة بعد الظهر  
من الثانية عشر الى ١١ ١٣٠١ ويخيمون من الساعة الثانية الى  
الرابعة و يتلقون الاوامر في الساعة الخامسة .

وتحمل اربعة ازرار امامية من السترة اثناء المسير ويتساح مع  
الجندي في المشي ويعظهم الائمة والضباط ويبينون لهم ان الظفر  
في تقدمهم والموت في التأخر ، اما الذي يترك كتيبته من غير ان  
بوءذن له فانه يرمى لساعته . وأمرت كتائب المشاة باسعاف  
المدفعية حين الحاجة الى المعونة في تسيير المدفعية . ويتراوح الافراد  
بينهم حمل البنادق

وكنا نمتطي الليل ونسكن في النهار لان برد الليل القارس  
يحول دون الرقاد ومن منافع هذه الطريقة تقليل الحاجة الى الماء  
٥ = تدابير المنزل : قرر قبل قيام الحملة ان يدخر في بيئر  
السبع وحفير العوجة ما يكفي للأمين حاجة القلب مدة شهرين  
وحاجة الجناحين ٢٨ يوما وقرر ان تحمل هذه المؤن قوافل  
الفيلق الثامن والفرقة العاشرة من ( سيله ) التي هي آخر موقف  
القطار وبتدىء بالادخار من اول كانون الاول  
وامر القلب بالمشي الى الاسماعيلية باعتبار كل ثلاثين كيلومترا

(منزلاً) فيكون بين بئر السبع وبين الإسماعيلية ١٠ (منازل)  
سميت بما يناسبها

٦ - خطة الحشد : تبدأ التجربة بمفادرة دمشق في اول  
كانون الثاني سنة ١٣٣٠ ، وتبرخها الساقة في الـ ١٩ من الشهر  
المذكور ، وتزحف المقدمة من بئر السبع نحو القناة في ٢١ منه .  
٧ - خطة التعبئة : كان على الفيلق الثامن ان يتوجه الى  
القناة ويهاجمها بعد الانتهاء من احتشاده ، وتليه الفرقة العاشرة  
بعضها اثر بعض على قدر ما تسمح المؤونة والماء ووسائل النقل  
على ان الهجوم بالقوى الضعيفة مملوء بالاحطار ولكن  
ليس من المتيسر ان تزحف الكتائب الجسيمة في صحراء سيناء  
وكما زاد عددها زادت الصاعب واذا امكن الفريق الاول  
ان يجتاز القناة فانه يمسكر غربها وينتظر الفريق الثاني .  
ثم انه لم يعول في الخطة على ابلتخ عنوة بعد التفوق في  
النار بل عول على قاعدة المباغتة التي تغتم في الليالي الدامسة ،  
واذا لم ييزح المقاتلة بئر السبع في ٢١ كانون الثاني فان هجوم القناة  
يؤجل شهراً آخر . ولا تسمح الحالة السياسية بالبطء لما يخشى  
من اثره السيء في نفوس العرب .  
ومن طبائع الانسان ان تستفرزه عاطفة التنافس والتحامد

عندما يشاهد اعمالا كهذه وليس من المستطاع ان يعركها  
بجنبه<sup>(١)</sup> ويجعلها تحت قدمه ، كما انه ليس من الممكن الاستغناء عن  
الذين قاموا بتدبير تلك المعجزات وارضاء هوى النفوس . .

واذا اردنا ان نلخص الحالة الروحية في الجيش والقبليق  
رأينا رئيس اركان الجيش اقدم من « كريس » واكبر سنا وهو  
من بروسيا . واما كريس فقد كان من ( بافاريا ) وهو انصر  
شبابا واشد طموحا واذكى فوآدا وكان قائد الجيش « ديكاتورا »  
وقائد القبليق شجاعا جريئاً فتمت المشاكلة بين كل اثنين من  
هؤلاء الاربعة والفوز لامحالة من نصيب الموصوفين بالجرأة  
والذكاء والطموح وكان الجيش يظهر بمظهر القابض على زمام الامر  
والحقيقة ان القبليق استمر بصدق عزيزته وقوة ارادته متغلباً  
على رغائب الجيش وخططه الى ساعة الهجوم .

وما كادت تحصل قيادة الجيش في دمشق حتى طالعت  
خطط القبليق على عجل فرأت ان هجوم الفريق الاول الذي  
يصل الغناة عمل يستوجب الشكر والثناء لما فيه من درك  
التأج السريعة الا انه محفوف بالاحطار ولتلك ينبغي التريث  
الى ان تتمكن الفرقة العاشرة وفرقة الحجاز والمتطوعة من

(١) عرك الشيء يجنبه : احمله

الاشتراك في الهجوم وقد طلبت من الاستاذة ان تبجد الحملة  
وتزيد في قوتها ومكنتها فتمدها بفرقتين تركيتين وكتائب  
استحكام ورشاشات قوية وطائرات ومدافع صحراء ، ولم يأت من  
ذلك غير الفرقة الثامنة ومدافع قديمة ذات عيار ١٢ سنمترا  
ثم ان قائد الجيش الذي انبط به الهجوم على مصر والدفاع  
عن سوريا وجد ان العمل الاول مقدم على الثاني فوجب ان  
يتولى قيادته بنفسه وبكل امر سوريا الى رجل يختاره ويرجع  
اليه في امره ، ولذلك احدثت الانظمة الآتية :

تألف المقدمة من الفيلق الثامن وترجع هي والفرقة  
العاشرة وتجريده الحجاز الى الجيش الرابع ، اما الفيلق الثامن  
عشر وبقية الفيلق الثامن فانها يرجعان الى نخري باشا بصفته  
وكيل قائد الجيش ، اما قيادة فلسطين واوضاع المنزل فيها  
وفي سوريا فانها تتبعان سلطة القائد العام مباشرة .

وقد تحتم ان تقسم سوريا الى مناطق عسكرية مختلفة  
يرجع قادتتها الى وكيل القائد العام كي يستقر فيها الامن وتدفع  
عنها الغوائل الداخلية والخارجية .

وقد صادفت هذه الخطة هوى من نفس القائد العام  
ومطابقة لروح القصد واصبح عليه ان يقود بنفسه حملة مصر وان



يفوض هجوم القناة الى الفيلق الثامن وبقائه تبعته وبذلك لا يكون النفوذ والسلطة في سوريا وفلسطين في قبضة واحدة يمكن ان تسمو الحوادث بصاحبها ولكنها توزعا على ثلاثة في سيناء وهم : قائد الفيلق الثامن ( جمال باشا ) وقائد الفرقة العاشرة ( فون ترومر ) وقائد تجريدة الحجاز وهيب بك ( باشا ) .  
واما في سوريا فقد وزعا في دمشق على نخري باشا وكاظم بك ( باشا ) . مفتش منزل الجيش وفي القدس على مفتش المنطقة « باك باشا » ومفتش منزل القدس قائم المقام روشن بك .  
ولم يكن لواحد من هؤلاء الشجعة سلطة على الثاني ولكن كانوا جميعهم في قبضة القائد العام وحده .  
ولما جاء المعسكر الى دمشق كان عدد الابل قليلا جدا فكان ينقص الفيلق الثامن ٤ آلاف بهير وكانت الفرقة العاشرة تحتاج الى ٢٥٠٠ بهير لاجل طعام عشرة ايام وشراب يوم واحد حسب القاعدة المتبعة في الصحراء . ومن هنا يتبين ان من اعظم المساعي التي ينبغي ان يبذلها الجيش هو تدارك الابعاس وقد امكن الحصول على ١٠٥١٤ بهيرا بين ٥ كانون الاول سنة ٣٣٠ و ٢٢ كانون الثاني من السنة نفسها - باعتبار آذار اول السنة .

اما خطة حشد الفيلق الثامن فهي ان يأخذ بمغادرة الشام في ا كانون الثاني ويؤلف مقر الفرقة المقدمة ويذهب معهم مفتي الشافعية في المدينة المنورة السيد ابوبكر حاملا اللواء الشريف الذي جاء به .

ولا انسى ما حيت حماسة ذلك اليوم في دمشق وقد ذهبت لمشاهدة المعسكر المحمول على الاباعر في مسيره بين المحطة والثكنة ، فشاهدت كل من فيه من ضباط وجنود هائجين مأججين تحرك اعطافهم نشوة السرور وهزة الفرح والشوق كما تحرك النسمات نواعم الاغصان ، ولم يبق مكان لم تؤثر فيه تلك العوامل اثرها . وكان لم يبق انسان لم تحدثه نفسه بالنفر معنا والمضي الى القتال في صفوفنا ، ولقد تمكنت هذه العواطف من النفوس وبلغت منها خير ما تبلغه فبكي فريق من شجوه وحنينه .

قام الفيلق بعد ايام الى القدس وكانت الفرقة الاولى وفرقة الحجاز بحاجة الى استجماع العدة وجمع الاطراف وليس من الحكمة كلها التعويل على عبور القناة بغتة ولم يكن بد من العمل على اجتيازها عنوة مما يستلزم بقاء الحملة امام القناة مدة اسابيع : ولهذا امر بانشاء منازل في البيداء تحميها السرايا

التي يشها الفيلىق وامر باستنباط المياه لمعونة المنازل وتأسيس  
المستودعات في وسط هذه اليبداء وادخار الارزاق ، ودعي ايضا  
الفيلىق الى التربص في الحدود الى ان تجتمع الفرقة العاشرة  
لقد اثر هذا الامر في الفيلىق اسوء اثر وهاج غضبه لانه  
اخذ الالهبة منذ اشهر ليتوجه الى القنائة في ٢١ كانون  
الثاني . والخطة السابقة تقضي بتبديل كل شيء وكان الجيش  
يرغب ان يكون وراء الفيلىق فاذا نزل خطب سئل الفيلىق  
عنه واذا تيسر نجح استاثر الجيش به وادعاه لنفسه

ود الفيلىق على تلك الخطة وبين انه من المستحيل انفاذها  
لان التربص في الحدود يسبب انفاق ما جمع من المؤونة بكل  
جهد وعناء وفي كل يوم يهلك جزؤ من الابعار واذا استمر على  
ذلك مدة طويلة لم يبق لديهم ما يكفيهم .

ولما جاء هذا الرد ذهب رئيس اركان حرب الجيش الى  
القدس محاولة اقناع قائد الفيلىق ، ثم عاد الى الشام عودة الظافر  
في ١٤ كانون الثاني فلقيته في المخطة وسألته عن نتيجة مسعاه  
فاجابني بكل خيلاء جواب البالغ من الامر مراده . على انه في  
حقيقة الامر لم يحظ من الغلبة بشيء لان قائد الفيلىق لم يرض  
بجمال من الاحوال الا ان يرحي قيامه عشرة ايام وكان ميعاد

قيامه من بئر السبع في ٢١ كانون الثاني فأهمل عشرة . وعلى هذا  
يكون الجيش قد نزل على رأيه

وفي هذه المدة المضروبة تصل مقدمة الفرقة العاشرة الى بئر  
السبع ، ولا تبرح تجريدة الحجاز معان . ويصح للفيلق ان يرى  
أن متابعة الجيش له واذعائه لحكمه فدية جلييلة في سبيل غرض سام  
شريف لانه قصر مساعيه شهورا على التأهب والاستعداد ، فاذا  
بدل الآن كل شيء جرح قلب الفيلق وخذت جذوة حماسه  
واختلاف القائدين الكبيرين سيء الاثر في الغاية المقصودة  
والحالة المعنوية .

على ان الحملة تبلغ مع الفرقة العاشرة وتجريدة الحجاز خمسة  
وثلاثين الفاً وابقاء هذه القوة امام القناة امدا طويلا يحتاج الى  
استعداد وتأهب لاحد لهما بل ان معنى انتظارهما العدول عن  
غزوة القناة ومتى انقضى فصل الشتاء لم يعد يتيسر القيام بعمل ما  
وخسائر الابل المتوالية تستوجب شراء اخرى وازدياد تناقصها  
في البلاد ، ولذلك فان لقائد الفيلق الحق بمحاولة اجتياز القناة بغتة  
مسلمة للقائدين لا مهاجمة على قاعدة نظامية ، أمونة .

وهذا الاسلوب من المهاجمة يحو الاثر الذي بمحدثه تعرف

قيادة الفيلق الثامن رجحان ارادتها .

## ٥ - الحجاز

موقف الحجاز قبل الحرب - الثورة في اليمن  
اشترك الشريف في اخماد الثورة - اختلافه  
مع شفيق باشا - وهيب بك - اشترك  
الامارة في تجريدة مصر - معاهدة الامير  
مع بريطانيا - خطط الاتراك - حرب  
سنة ١٩١٣ - تأثير اشترك الحجاز في الحرب  
تجريدة الحجاز .

لا اظن تركيا ينظر الى هذا العنوان ولا يلمعج فواده وترتمض  
جوانحه ومع ذلك فاني لا اريد ان ابحت ههنا بجشا طوبلا في  
شان الحجاز واسباب ثورته

و اذا نظرنا الى آراء الترك العامة وجدنا مسألة الحجاز التي  
هي من اوجع حوادث الحرب واشدها ايلاماً جديرة بان يفرد لها  
مجلد بأسره . وسأوجز الكلام فيها بمقدار المناسبة التي بينها  
وبين هجوم القناة الاول فأقول :

لما خاض الترك غمار الحرب كان موقف الحجاز كما يأتي :  
لم تكن الصلات بين امير مكة وبين والي الحجاز وقائدها  
( وهيب بك ) على حالة يُرغب في مثلها وكذلك الامر بينه وبين  
الحكومة المركزية وهي نتيجة سبق وهم توالى حدوثه ففي سنة

١٣٢٦ ، أيام الانتفاض الكبير في (عسير) واليمن ، كان الامام يحيى يحاصر ( صنعاء ) وكان السيد الادريسي يحاصر ( ايها ) حاضرة عسير وقد احتل جميع المراكز العسكرية بين ايها والساحل ، ولم يهد مثل لهذا العصيان الرائع فقد كانت كل عصيان سبق يقتصر على قيام الزيدية سكان الجبل ، ولكن نزول السيد الادريسي الى المعركة في هذه الكرة برهن على انه خصم اشد مراسا من الامام يحيى وهو شافعي المذهب وقد هدد نفوذ امير مكة فلم يكن يرضى عنه بل يصر على مناوآته

قدر ( عزت باشا ) قائد الحملة اليمانية هذا الموقف حق قدره واراد ان يجر الى جانبه قوة امير مكة لينتخذ ( ايها ) ققابل الشريف حسين في ثغر جده ونتج من هذه المقابلة ان حضرة الامير اقر الاشتراك بقوته في حملة عسيران يأخذ على عاتقه قيادة الحملة اليمانية التي جهزت امير حتى تسير الامور سيراً صحيحاً<sup>(١)</sup> في قبضة واحدة

فارب الامير الادريسي حروباً طويلة انتهت بفوزه ودخوله ايها ظافراً وقد ابلى قائدها ومتصرفها سليمان شفيق باشا بلاءً حسناً في الدفاع عنها ، ولم يمض اسبوع على دخول امير مكة

(١) صحيحاً « بفتح السين والجيم » : اي ضللاً مستقبلاً

ابها وفقه الحصار عنها حتى فسد ما بينه وبين شفيق باشا  
ولا ريب في ان هذا الخلاف الذي شجر بين المنتقد  
والمستنقد جدير بانعام النظر فكان سليمان باشا يرى ان امير  
مكة لم يرم في تجريدته الى اعلاء كلمة الدولة العثمانية بل رى  
الى اغتنام الفرصة السانحة من جراء عصيان الادريسي وبسط  
سلطانه في ارجاء عسير وتمكينه له باتخاذ القوى العثمانية ظهيرة  
لمقاومة الحكومة العثمانية نفسها، وقد رأى المتصرف انه لامناص  
من سلوك الخطة السالفة بصفة كونه ممثل الحكومة هنالك بعد ان  
شاهد من اعمال الامير ما كشف له عن نيته، وكان فيه مقنع له  
فوصفه بانه ادريسي مجهز بالبنادق والمدافع الا ان هذا المنهاج الذي  
وقف عنده سليمان شفيق باشا لم يقع موقع الرضى من المعسكر  
العام واستدل به على نقصان كياسته السياسية وسوء تدبيره  
وبعد ان نتابع الولاية على مكة المكرمة انتدب لها الزعيم  
اركان الحرب وهيب بك بصفة قائد للحجاز ووال عليها فساعات  
الحال بينه وبين الامير في ايام قلائل وزين الحكومة الاستانة توجيه  
حملة اليه مؤيدا دعواه ببعض الحوادث والاعمال فاجابته الحكومة  
الى طلبه ولكن محمود باشا الشركهولي حملها على العدول، غير  
ان هذه الفكرة وحدها كافية لاثارة امير مكة واذا كاه نار غضبه.

ذلك هو الموقف في الحجاز لما نشبت الحرب العامة  
ولما وافينا دمشق وردت علينا برقية من وهيب بك  
يسأل فيها عما يؤمر به لان فرقة الحجاز اصبحت بمتضى  
الإوامر الاخيرة الصادرة من وكيل القائد العام مرتبطة بالجيش  
الرابع ومأمورة بمجاراته ومتابعته في خطته .

وجاء من امير مكة في هذه الفوضون ان الامارة تعاهد  
على الدفاع عن الحجاز وتضمن ذلك فلا بأس من اشتراك  
الفرقة مع تجريدة مصر، بل ان الامارة الجليلة حاضرة لامداد  
الفرقة ونجدتها .

فتحتم ان يضع الجيش خطة فاصلة صريحة في هذا الشأن  
فقلبت وجوه المسألة ونظرت اليها من ابوابها فرأيت انه مهما  
كانت النيات والرغائب التي تعزى الى امير مكة علينا ان تتناساها  
وتناسى معها كل خلاف وان يشد بعضنا ازر بعض بعد ان اعلنت  
الحرب واعلن معها الجهاد المقدس . واكبر عمل في هذا اليوم هو  
ان تشترك اماره مكة وفرقة الحجاز في تجريدة مصر، واذا كان  
الامير يعمل على اشعال الثورة، واذا كان قد اتفق مع البريطانيين  
فليست فرقة الحجاز بمكان من القوة والمنعة يجعلها كافية لمغالبة  
الطواري، واشتركا في تجريدة مصر خير من بقائها في الحجاز



وكذلك فاذا انتقضت هذه الخطة لا يمكن ان تضمن مؤونة  
الفرقة فيها سواء من البرام من البحر وهناك تكون النازلة لا محالة  
ولذلك يجب الاسراع بانقاذها بحجة تجريدة مصر . على انه يرجى  
ان تكون رغبة امير مكة بمشاركة الحملة ناشئة عن نية حسنة وان  
تعنى اثار البرودة القديمة بما يعامل به من الحرمة والثقة فمن الحكمة  
واصالة الرأي ان نتمسك بهذه القواعد ونحسن معاملته ونجل رأيه  
ونوجه انظار موظفي الحجاز الى مثل ذلك

فاستحسنتم هذه الاراء وقرر ان لا يبقى في الحجاز الا لواء  
ضعيف وان يبرح قائد الفرقة مكة للاحتشاد في معان والاشترار  
في تجريدة مصر وقد ابلى الامير انهم يتشرفون بتفويض قيادة  
التجريدة اليه فاجاب ان الافضل عنده ان لا يبرح مكة ليدافع  
عن الخطة الحجازية اذا اعتدى عليها الخصوم ، وسير نجله عليا  
وفريقا من المجاهدين ينضمون الى فرقة الحجاز في تجريدة مصر .  
وفي ١٥ كانون الاول غادرت فرقة الحجاز مكة وفيها  
لواءان من المشاة وبطارتان جبليتان وفوجان رشاشان وفصيلة  
صحية والفا جندي والمجاهدون بقيادة الامير علي .

وقد احتشدت هذه القوى بعد اسبوعين في المدينة المنورة  
والنحوق بها كتيبتان كانتا لدى المحافظ الا ان الامير عليا فضل

البقاء في المدينة للدفاع عنها، فاجيب سؤله ولم يجدوا اي فائدة في اكرامه على العدول عن فكرته او الامساك عن سفر فرقة الحجاز، ولو جرى شيء من ذلك لعجل بايقاد النار ولذلك اكتفي بما اورده من العلل في هذا الموضوع . وضرب وهيب بك في الشمال وبدأت فرقة الحجاز تمتشد في معان في اول كانون الثاني وتم احتشادها في ٨ منه وتخلف الامير علي في المدينة مع المجاهدين الذين معه

ومضت الحكومة العثمانية والامارة الجلييلة في براز سياسي من ذلك الحين الى ان اعلنت الثورة وكانت الامارة الجلييلة تأتي خالبة في جميع ادواره .

وما اخرج الفرقة من مكة وبقاء الامير علي في المدينة الا اثران من خطاة مرسومة دبرت من قبل وتكلمت صحيفتها الاولى بالنجاح فثبتت الامارة وطأتها في مكة والمدينة وصفا لها الجو في الحجاز وثابت لها الامور .

ويفهم ممارونه صحف اوربا في الآونة الاخيرة انه بعد ان قررت الحكومة العثمانية دخول الحرب سيفي صف الدول الوسطى ، عقد شريف مكة مع بريطانيا معاهدة باسم العرب تقضي ان يحارب الشريف الاتراك في جانب البريطانيين ولم

تكن مطالعين على هذه المعاهدة يوم عقدها وما ذا كنا نستطيع  
صنعه لو اطلعنا عليها ؟ . فإني يمكن يسعنا غير تجاهلها ، وان  
كان سير الامور ومجرى الحوادث يدلان على وجود شيء من  
ذلك . وقد هجم الاعراب على بحارة « امدن » الألمانية في  
توجههم من (ايت) الى جده وبعد ان قاتلوهم يومين تراجعوا عنهم  
بامر موظفين ارسلتهم الامارة الجليلة فكان الايدي التي هيأت  
هذه الحادثة ارخت عليها السدول عند مشيئتها

وقد اعترض بعضهم قائلين فيما بعد : لو بقيت فرقة الحجاز  
في الحجاز لما شبت نار الثورة وقد اسلفنا الكلام على ان  
الفرقة ليست من المنفعة بحيث تتمكن من عمل كهذا ولا ازال  
مصرأ على رأبي بان سحب فرقة الحجاز من الحجاز عمل موافق  
لنن التعبئة بل اني ازيد على ذلك قائلا انه كان ينبغي سحب  
جميع القوي العسكرية ليس من الحجاز فقط بل من اليمن  
وعسير وجمها في الآستانة او سورية وكان فيلقان مبعثران في  
هذه الاتهام وهما اقل من ان يدفعا عنها خطر عدو اجنبي واكثر  
من ان يستغنى عنها في ميادين حرب اعظم منها .

ولما كان مستقبل الدولة العثمانية معقودا على ما تنتجه الحرب  
العامة فن الحكمة وسداد الرأي ان نجمع قواتنا في الميادين التي

تحرز بها النتائج الحاسمة ولم يكن في مقدور الجيش العثماني ان  
يقاتل في كل ربوع المملكة القسيمة قتالا مقرونا بالظفر، واذا  
فزنا في الحرب العامة تيسر لنا ان نسترد اليمن والحجاز وعسير  
فيما لو اضعتها، واذا كنا من الخاسرين في الحرب فاي  
فائدة لنا من الاحتفاظ باليمن والحجاز وعسير؟

وما اكثر وجوه المطابقة بين الخطط التي اتبعها قدماء  
العثمانيين وشيوخهم في الحرب الروسية سنة ١٢٩٣ = ١٤ وبين  
بعض الخطط التي وضعها شبان الاتراك في الحرب العامة سنة  
١٣٣٠ = ٣٤ التي قادوا فيها المعارك وخاضوا الوقوع على احدث  
قواعد التعبئة العسكرية .

ففي سنة ١٢٩٣ كان مجهزة للقتال نحو مليون مقاتل الا ان  
الميدان الذي ينقضي فيه الامر ويبرم وهو ساحل الدانوب لم  
يكن على طوله الا نحو ١٨٠٠٠٠ من المقاتلة وقد اهمت قوى  
جسيمة بحجة المحافظة على الامن الداخلي وامثالها من العجم في  
البوسنة والمهرسك وكرييد وبانيا وطرابلس الغرب وادرنه  
واستانبول ومكسونيا وبلاد العرب . وكان الجيش العثماني لما  
استمر القتال في الحرب العامة موزعا مثل هذا التوزيع تحت كل  
كوكب فكان من ذلك تبديد قواه والاسراف فيها او تفريق

شمل جموعه وفك عراها في سبيل منافع كثيرة اللبس والشبهات  
من حيث تزجية<sup>(١)</sup> الجيش كحمة القناة وهجوم التفقاس وتجمير<sup>(٢)</sup>  
الجندي في اليمن والحجاز وعسير .

ومن جملة الاعتراضات التي وجهت قولم لماذا لم يؤخذ على  
يد الشريف في الايام المساعفة ؟ ألم يكن من الهين الرجوع الى  
احدى الوسائل التي طالما رجع اليها اجدادنا وتوسل بها عصابة  
الاتحاديين في عصرنا ؟ اولم يكن بذلك حقن دماء كثيرة ؟ وهذا  
الاعتراض لا يخرج عن اعتراضات العامة وآرائهم اذ كيف ينكر  
اخلاص امير لبي اشارة الخليفة الاولى قبل سنين واسرع لانجساد  
مقتل سلطاني حصره العصاة ؟ وما اقبح تلك الوسائل واسوأها .  
ولا سيما ايام نودي بالجهاد المقدس ا واي امير عربي يثق بكلام  
الترك وعهودهم بمد ذلك ؟ والوفاء من شيم العرب التي لا يوتر  
فيهم شيء مثلها ولا يقع من قلوبهم موقعا وتقتض الدمام يقدح  
في جوانحهم نارا من الحقد لا تخبو ابد الدهر . واذا اغفلنا كل ما  
تقدم من العلل والاسباب ، فهل مثل ذلك العمل يحول دون  
انتفاض الحجاز دائما ابدا ؟

(١) زجيت الشيء تزجية : اذا دفعته برفق

(٢) تجمير الجنود : ان تجبسه في ارض العدو ولا تقفلهم من الثغر

واني اعتقد اعتقادا لا يخالطه شك ان شخصية الشريف  
واولاده طبعت على هذه الثورة بصورة واضحة كل الوضوح وان  
مظالم جمال باشا ومغارمه عجبات في ايقاد الفتنة واولت الشريف  
حسينا حجة ظاهرة بينة لامراء بها امام العالم الاسلامي والعربي  
تبرر انتقاضه ولكن اسباب ثورة الحجاز عندي ترجع الى  
امور اخفى ودقائق ابعث غورا ، وياتي في مقدمة هذه الاسباب  
موقف الحجاز الجغرافي وتليه مرامي العرب القومية . فما  
للأشخاص بين هذه الاسباب الضرورية الطبيعية الامتلاء ثانياً .

فالبلاد الحجازية المقفرة تعيش من الحجاج والحجاج  
يأتون عن طريق البحر ، والسكة الحجازية لا تكفي لنقل ما  
يعيش به الحجاز وما يلزم للدفاع عن سوريا وفلسطين في أن  
واحد ومتى حصرت الحجاز فان المجاعة الشديدة واقعة بها لا  
محالة . ولا يمكن ان تشبه باليمن وعسير تلك البقاع الخصبة  
الخصرة التي يمكن لاهلها ان يجدوا موارد عيشهم من غير ان  
يالوا بالحصار الذي يضرب عليها .

فيتمين مما تقدم ان دخول تركيا الحرب في صف الدول  
الوسطى ومحاصرة الحلفاء اياها لا يمكنان الدولة العثمانية من  
اسعاف الحجاز بالقوت والغذاء من طرق البر فليس للعربان

الذين تعضهم المجاعة بانبيائها الا ان يمدوا بصرهم الى السفن التي تجوب البحار مشحونة باكياس الدقيق والارز فتستهوهم خيالاتها الخلابه وتضطرهم الى التسليم كما تسلم القلعة التي تنفذ مواردها ولما لم يكن في وسع الاعراب اشتراء تلك الارزاق فلا بد لهم من الاذعان للشروط التي تعرض عليهم ولا يمكن للجهاد مقدس ينادى به في الآستانة ان يكون له تأثير معنوي يكفي للشفاء من داء المسغبة<sup>(١)</sup> والحاجة الشديدة وليس لامير في مكة كائنا من كان ان يصد الاعراب البداة الجفافة عن القيام بعمل كهذا .

وهذه البراهين جلية ليس وراءها مقال للقتال فنحن نتساءل لماذا اغفاهما (الثلاثة) لما جردوا السيف ولم يمعنوا النظر فيها وهي على ما هي عليه من البساطة والوضوح ؟ لاجرم ان السبب يرجع الى نقص معارفهم الجغرافية .

ودع ذلك فلا ينبغي التغالي بتقدير المعونة العسكرية التي قدمتها هذه الثورة الى جيوش بريطانيا من حيث التعبئة وتزجئة الجيش ، فان المرشال « النبي » هو الذي كسر في فلسطين الجيش العثماني واقتصرت قوة الثائرين في اطراف معاز

(١) المسغبة : المجاعة

على مقاتلة قوة امكنها الدفاع ببسالة عن ٨٠٠ كيلومتر من  
سكة الحجاز نحو سنتين مثوالتين . وهذه القوة تعد بضعة  
آلاف من البندقيات اذا استثنينا حامية المدينة . ولكن لثأري  
الحجاز في ميدان فلسطين تأثيرا آخر غير مباشر باكراههم الترك  
على حبس وسائل نقل كثيرة في السكة الحجازية لاجل محافظة  
المدينة المنورة والسكة الحجازية نفسها . ووسائل النقل محدودة  
في هذه السكة فكان من ذلك ضرر بالغ حده في مواصلات  
فلسطين . واصبحت الفرق العسكرية التي توّمتها مضطرة ان  
تمشي على اقدامها مئات الكيلومترات فتصيبها الخسائر الكبيرة  
قبل ان تدخل صف القتال وكأنا دخلته لانها قادمة من  
ساحات حرب اخرى استنفدت قواها .

فمن الواضح ان نقل الارزاق والمهمات الى ساحل فلسطين  
اصبحت تعترضه عقبات شديدة بسبب المواصلات مع الحجاز ،  
والتأخر التي ادركها الثائرون في هذا الشأن هي موضع خطأ  
العسكر التركي العام اكثر مما هي موضع مجد ونفاز له لانه لم  
يبرح مثابرا على الدفاع عن سكة الحجاز . ومن الخطأ الفني  
الذي لا يغسل عاره والبساطة القلبية التي ليس لها حد  
الاصرار على ركوب متن العناد في عدم الاستفادة من الخط



الضيق الوحيد الذي يمكن الاستفادة منه في الدفاع عن فلسطين البعيدة عن قاعدة الاعمال العسكرية الوف الكيلومترات في الوقت الذي مد البريطانيون سكة حديدية كاملة للهجوم على فلسطين غير مكثفين بالسيادة البحرية التي هي في قبضتهم . ويمكن اسناد هذا الخطأ القاضح الى الميول الدينية التركية التي لم تأذن على الاطلاق باخلاء الحجاز ولذلك كانت الخطة التي اتبعت خطة تعبئة دينية لاتعبئة فنية عسكرية . والتعبئة التي تعتمد على العقل والحساب لاتستطيع تحمل السياسة والعواطف واذا تحملتها واصفت لها انتقمت منها شر انتقام

\*

\* \*

كانت كتائب فرقة الحجاز المحتشدة في معان تعزز بصفوة من جنود الترك لانها ضعيفة وقد انضم الى هذه الفرقة سرية متطوعة الدروز التي استنفرها الامير شكيب ارسلان وتولى قيادتها وسرية خيالة الاكراد التي جمعها عبد الرحمن بك اليوسف وسرية المتطوعة من سلمي البلغار وسرية المتطوعة ايضا من خيالة الشركس

وسميت القوة التي الفت على هذه القاعدة بتجريدة الحجاز فسارت الى قلعة النخل وكان يراد ان تنجى الى السويس

وتتقدم الى القناة ولتتحق بالتجريدة العامة ولم يكن من المتيسر  
تدارك الاباعر لان التجريدة العامة نفسها كانت تجدد عقبات  
كثيرة في هذا السيل .

وكانت قيادة الجيش ترجو ان تأتي تجريدة الحجاز  
ومعها ما يكفيها من الاباعر فساء فلما وخابت آمالها لما رأتها  
مقبلة وليس لديها من وسائل النقل الا الهين اليسير .  
وسياتي معنا ان تجريدة الحجاز لم تصل الى القناة  
للاسباب السالفة ، وقد تأخرت عن الفيلق الثامن وحمل تأخرها  
قائد البريطانيين على الظن بان مهاجمة الاسماعيلية لا تكون  
قبل الانتهاء من تزجية الجيش وتعبئته بامرهم فلم يحسب حساب  
المجوم في الوقت الذي قام به وكان في ذلك نوع . ظاهرة  
عسكرية مفيدة



## ٦ — من دمشق الى بيت المقدس

مغادرة دمشق — القدس — صفحة من  
تاريخها القديم — ابراهيم وموسى — استقبال  
القائد العام — تقسيم المعسكر .

برح معسكر الجيش دمشق بعد «بفاوة واکرام نفوقان  
حد الوصف وسار بنا القطار الى محطة «سبستيا» وهي تأتي  
بعد محطة «سيله» التي كان ينتهي بها قطار العساکر ولم يكن  
الخط بينهما كافيا لتسيير الجنود وقد تم انشاؤه منذ عهد قريب  
وذهبنا من سبستيا الى القدس في السيارات والسماء تجود بوابل  
مدرار ولما صرنا الى القدس وهي المرة الاولى التي قدمتها كنت  
غارقا في بحار التأمل مسترسلا في تذكر تاريخ هذه المدينة  
الذي يرجع في قدسيته الى مولد التاريخ ويختفي في سطور ايامه  
المتقدمة . تذكرت ابراهيم ويعقوب وموسى الذي دعا قومه  
الى ارض الميعاد ولم يتيسر له رؤية ذلك اليوم ، وتذكرت سليمان  
الذي بلغ الاسرائيليون في ايامه اقصى مراتب الجاه والاقبال  
وتذكرت بعد ذلك فتوحات الآشور بين والفرس وجلاء  
اليهود وسببهم واعمال السيف فيهم ، وحكومة الرومان ومناقب

السيد المسيح والقائد « تيتوس » السفاك الذي ضبط القدس  
واحرقها واعمل السيف في رقاب اهلها ، وتذكرت عمر ابن  
الخطاب الذي جاء القدس من الحجاز ممتطيا بعيره ففتحت له  
ابوابها ، وتذكرت حروب الصليبيين وصلاح الدين الايوبي  
مثال الوفاء .

اوفينا على القدس بين الخيالات السائمة والغيوث المنهمرة  
وهي المدينة الصخرية اليابسة المقفرة الاطراف التي ليس فيها  
للشاربين غير ما يجمع من مياه السماء ولم يكن لها من الحسن  
ما يستوقف الانظار سوى ان المعتقدات التي تأصلت في  
اعماق التاريخ جعلت لها في كل نفس منزلة لاتداني وخبأتها  
في ملاءة من الطلاسم تسحر العيون وتستهوي القلوب ،  
فسورها الرفيع المحكم الشرفات كأنه المخرم والمفوف<sup>(١)</sup> وحجارة  
المسجد الاقصى اعظم مساجد المسلمين نتلو علينا فصولا جيدة  
من التاريخ الاسلامي وتعيد الينا ذكراها . وقد كتب على قطعة  
من الدمقس الاحمر بالطراز الابيض قوله تعالى «

« ادخلوا مصر ان شاء الله امنين »

يالها من كلمة مررنا من تحتها وتحدث الينا منها ذكرى

(١) مفوف كعظم : رقيق اوفيه خطوط بيض

حوادث مرت قبل خمسة او ستة آلاف من السنين فافهمت قلوبنا  
عواطف دينية . وكانت تقدمتنا سيارة القائد العام فلم نحضر  
الاستقبال ولم نشاهد غير تواليا وهو اديه<sup>(١)</sup> كما تشاهد معالم زينة  
بعد مضي يومها . ونزل المعسكر في الفندق الاكبر ولم نلتق  
بالنيلق الثامن لانه سافر من قبل الى انحاء بئر السبع  
مكثنا في القدس ولم يكن تهيأ لمعسكر الجيش ان يذهب  
باسره الى الصحراء بسبب ما يعترضه من الحوائل في النقل  
والمعيشة ولم يكن قد ابقى له غير قليل من الابعار ولذلك قسم  
المعسكر الى ثلاثة اقسام تخلف في القدس القسم الثالث المؤلف  
من قيادة المعسكر والاوراق وادارة البريد ومستشار العداية  
وامثال ذلك من ارباب الاعمال الكتابية وقرر ان تقوم المقدمة  
في ٤ شباط وهي القسم الاول وتؤلف من القائد ورئيس اركان  
الحرب وثلاثة من ضباط اركان الحرب واثنين من المراقبين  
وثلاثة من ضباط الاوامر وثلاثة من الضباط الملحقين وواحد  
من جماعة الفرسان و ٢٠ هجانا . ويقوم بعد اسبوع الفربق الثاني  
من المعسكر وهو مؤلف من رئاسة الصحية ورئاسة البيطرة وادارة  
البرق وغير ذلك .

(١) التوالي الاعجاز ومن الظعن او اخرها واقبلت هوادي الخيل اذا بدت اعناقها

## ٧ - صحراء التيه

الاسرائيليون وموسى - صحراء سيناء والغزاة  
المصاعب التي لقتها التجريد العثمانية فيها - خطة  
وصل الهند بافر يقيا من البر - اقليم سيناء  
تقسيمها وحدودها - الزوابع فيها - قلة الماء  
وندورة المطر .

يحتفي تاريخ الصحراء في ظلمات القرون الاولى ويذكر  
بأن ابراهيم اختار نضحية ابنه في مكان بئر السبع وفيه التقى  
سليمان بيلقيس وفرشت ارضه بالذهب .

كانت هم القوافل بصحراء التيه في طر بقها الى مصر وفلسطين  
وقد باع اخوة يوسف اخاهم من احدى هذه القوافل ولما  
أشدت السنون في فلسطين واستوزر عزيز مصر يوسف  
استدعى ابويه واخوته فانزلهم بين « القاهرة » و « بورسعيد »  
وقدم الاسرائيليون الى الفراعنة اموالهم ثم مواشيهم ثم دخلوا  
في رقهم لاجل ان يتناولوا من الغداء المدخر ما يكفيهم وقد  
تكاثروا بعد وفاة يوسف كل التكاثر وبذل الفراعنة قصارى  
مجهوداتهم ليحولوا دون تكاثر شعب غريب في بلادهم .

عاش الاسرائيليون في ذلة الاسر الى ان قبض الله موسى

فكان له الفخر والفضل باتخاذهم واحداث امر عظيم من اجل الامور التي عرفها التاريخ . وقد خرجوا من مصر على الروايات الاسرائيلية بعد ان مكثوا فيها نحو مائتين وخمس عشرة من السنين وهم زهاء ستمائة الف . وكان طريق بحر الروم اقصر الطرق الى فلسطين .

ولعل موسى الحكيم رأى ان هذا الشعب الذي الف المذلة والاسر قد يفضل الرجوع الى مصر على مناصبة الفلستينيين القتال فقاده الى الجنوب الشرقي اي الى منتهى البحر الاحمر من جهة الشمال حيث مدينة السويس اليوم . ويغلب انه عبر من هذا المكان في اثناء الجزر ، واوفى على طور سيناء في ستة اسابيع فاعترضهم العماليق القاطنون بين بئر السبع وبحر لوط ولكن الاسرائيليين هزموهم بما لهم من الفضل في العدد واقتان اصول الدفاع وهذه هي المرة الاولى التي انشأ فيها موسى اسس الاوضاع الاجتماعية والعسكرية فقسم امته الى عشرات ومئات والوف وولى على كل فرقة نقيبا وغادر طور سيناء بعد ايام ومضى الى جنوبي بحر لوط . ولما استقر بالمكان الذي قصد له بث اثني عشر عينا من الاسباط الاسرائيلية الاثني عشرة في فلسطين فعاد العميون بعد اربعةين يوما يتحدثون

ببركة ارض الكنعانيين وخصبها وشدة مراسم اهلها فخبث قوم موسى عن الهجوم وعوقبوا على ذلك بان يتيهوا اربعين سنة في الصحراء فعادوا اليها ومكثوا فيها ثماني عشرة سنة .

كان موسى في اثناء هذه المدة يغالب اليأس والفقر ويقمع كل انتفاض بنجم قرنه الى ان تغلب بعلو همته وصلابة عزمه على كل تلك العقاب وكان جل ما يرمي اليه ان يعث في الاسرائيليين جيلاً جديداً ويستولي على ارض الكنعانيين ويرد قومه الى اوطانهم على ان الذين قدموا من مصر كانوا كثيري العدد الا ان فيهم الجبناء والمعتلين والشيوخ والضعفاء فلا يتيسر على الاطلاق ان يؤلف جيش فاتح من جماعة كهذه ولم يكن بد من الاصطفاء فعوقبوا في الصحراء على مخالفتهم الاوامر الالهية وصفوا وهذبوا واضمحلت التربية التي خرجت من مصر في هذه السنين الثماني عشرة وذهبت شيئاً فشيئاً وقام مقامها جيل لم يألف ذل الاسر ولم ينزل منازل الهوان وحينئذ قر رأي موسى على مباشرة عمله والمضي في سبيل قصده مرة ثانية وضرب في طريقه الى الشمال في وجهة بحر لوط .

وفي اوائل السنة الاربعين من مغادرة الاسرائيليين مصر وقف جيشهم في مكان لا يبعد كثيراً عن موقفهم السابق وكان



عليهم ان يبروا بمملكة العيدوميين ليدخلوا ارض الكنعانيين وهي  
في جنوبي الخط الممتد بين غزة وبئر السبع وبحر لوط الا ان  
ملك العيدوميين لم يسمح لهم باجتياز بلاده فاختر موسى ان  
يذهب الى الجنوب ويمر بوادي عربة وهو بين خليج العقبة وبحر  
لوط ويذهب الى الشرق ويمر من وراء الشريعة بين اراضي  
بطراوا الكرك ويتقدم الى الشمال ويدخل فلسطين من جهتها  
الشرقية . وقد نجح في انفاذ هذا الرأي الذي فضله على محاربة  
العيدوميين واجتياز بلادهم عنوة .

مضت المصور المتعاقبة وصحراء سيناء مجاز الفاتحين بين  
الشرق والغرب فمر بها الآشوريون والفرس والاسكندر الكبير  
وغزاة مصر في زمن عمر الفاروق وقد حاول احد قادة  
هولاكو ان يخترقها في طريقه الى مصر فسقط قتيلا في معركة  
نشبت بينه وبين جيش المماليك الذي صمد له في وادي الشريعة  
وغزا المماليك سوريا غزوات عديدة . ولا بد لصاحب السلطان  
في مصر او في سوريا اذا اراد الاحتفاظ بسلطانه في احدهما ان  
تكون الثابتة في قبضة ملكه وقد نشبت المعركة الاولى بين  
السلطان سليم والمماليك في جوار غزة وتوجه نابوليون من  
مصر الى سوريا وحاصر عكا وهو يتنغي ان يستولي على آسيا

ويسود الاسلام فيها ، وقد قطع ابراهيم باشا المصري صحراء سيناء  
وغزا سوريا والاناضول

وكانت كل هذه الجيوش ما عدا جيش موسى تمر بطريق  
غزة والعريش ومنه نقل تابوت الاسكندر الكبير المرصع الى  
الاسكندرية

اما السيادة البحرية فكانت في قبضة الانكليز لما غزا نابوليون  
وابراهيم باشا سوريا وكانت في يد الثمانيين لما غزا السلطان  
سليم مصر ولم تكن سيادة لاحد في بحر الروم في اثناء سائر  
التجهيزات العسكرية .

وقد انشئت قواعد بحرية في بيروت وصيدا وصور وكانت  
تقطع الاخشاب من غابات لبنان لانشاء السفن  
ومما يستحق الذكر علاوة على ما تقدم ان قناة السويس لم  
تكن في سفر من الاسفار الماضية فبدل حفرها خطط تزجية  
الجيش كل التبديل وجعل اساس السيادة البحرية متوقفا على  
السيادة في مصر وقد امرت التجربة العثمانية ان تضرب في  
جوف صحراء سيناء وتخرقها فقامت بما امرت به وعالجت من  
المصاعب والمشاق ما لم يسبق له نظير في تاريخ الاسفار السالفة .  
فيظهر مما تقدم ان سيدنا موسى اتي من العناء الطويل

والعنت<sup>(١)</sup> الثقيل ما لم يلقه احد قبل خمسة آلاف سنة وانه لم  
يعهد مشال لتجريدة العثمانيين في اثناء الحرب العامة سواء من  
اقتحام العقبات والشدائد ام من بذل العزمات والمهمم الخارقة  
ولقد اراد العثمانيون غير مرة ان يعيدوا الكرة على الفناء  
واتخذت سراياهم صحراء سيناء مجالا لها ومغدى ومراحا في  
سنتي الحرب الاوليين وقر رأي البريطانيين في سنة ١٣٣٢ على  
اخماد هذه المساعي واحتلال فلسطين والامن على مصر من البر .  
او قل بعبارة افصح انهم بدأوا يطبقون الفصل الاخير من  
الخطة الجليلة التي تعزى الى ( سيسيل رودس ) وهي وصل المند  
بافريقية الجنوبية من طريق البر .  
ولذلك رأوا ان يمدوا على طول ساحل سيناء خطا عرضيا  
و يأتوا باقنية المياه

فلا جرم ان قرار بر يطانيا بمد سكة حديد وجر الماء بالاقنية  
وهي صاحبة السلطان في البحر باسطوطها وصاحبة السلطان في البر  
بجيشها من جملة البراهين التي تدل على ما في صحراء سيناء من  
المصاعب والاطار وما يحتاج اليه كل من يحاول قطعها - وان  
كان بر يطانيا نفسها - من الجهودات والمساعي التي لاحد لها كما

---

(١) العنت : الوقوع في امر شاق

تدل على ما امتازت به القيادة البريطانية العامة من فكرة الحذر  
والحيطة .

الاقليم : لاجدال في ان صحراء سيناء من اسوأ البقاع وشر  
المنازل في هذه الارض وهي غير آهلة بالسكان اذا استثبث  
ربوع فيها او هي قليلة السكان .

تمدها فلسطين من الشمال ووادي عربيه وخليج العقبة من  
الشرق ووادي السويس من الغرب وبحر القلزم من الجنوب  
وتنقسم هذه الصحراء باعتبار خط يمتد بين بئر السبع والاسماعيلية  
الى قسمين متفاوتين فالقسم الشمالي رملي والقسم الجنوبي  
صخري ويسمى الاول الصحراء الرملية والثاني الصحراء الصخرية .  
وكثبان الرمل وجبالها في الصحراء الرملية وهي تهير على الاطلاق  
من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ومعدل ارتفاعها ٥٠  
متراً وقد تعلو على ذلك

ومثار الزوابع التي تكثر في سيناء من هذه الرمال التي  
نتقل في بعض الاحيان وقد كتب السائح السويدي « سوين  
هدين » لما ساح فيها اثناء الحرب راكبا سيارة ان صادف كثيراً  
رملياً يمشي على مهل

اما ارض الصحراء الصخرية فنهنا قاسية باسرها ولا يعوق

السهل منها سير الحركات العسكرية ولكن تعوقه جبالها الكثيرة  
وقد اتبعت التجريدة العثمانية الطريق الفاصل بين الصحراء الرملية  
والصحراء الصخرية فكان طوراً رملياً وطوراً وعثاً قاسياً  
ولم يكن في سيناء نبات نام ولا ماء جار ولم يكن فيها  
غير الشوك والقتاد<sup>(١)</sup> وحسك السعدان الذي ترعاه الابل ويصلح  
لطحج الشاي .

وبوازي القناة سد رملي في مسافة تختلف بين ٥ او ٢٠  
كيلومتراً ويمتد من الشمال الى الجنوب ويختلف عرضه بين  
٢٠ و ٤٠ كيلومتراً يعوق الحركات الحربية اشد تعويق  
وقلما تمطر السماء وقد لا تقطر قطرة في بعض السنين واذا  
امطرت فانها تنهمر انهاراً فتملاً الوديان وتسيل القيعان وتأتي  
في الغالب بفتة وثابس الودية في ايام اخرى ولا تبقى الا  
صهاريج ماء .

ونكثر الرمال والزوابع وتشتد وطأتها فتغطي السبل ولا  
يرى المرء ما امامه عن بعد متر واحد ويدخل القبار في كل  
مكان وتتعذر المحافظة على جلاء الاسلحة ونظافتها ولا يحول شيء  
دون امتلاء افواه البنادق بالرمال التي تدخل الصناديق المقفلة

(١) القناد كسحاب : شجر صلب له شوك كالامر

وقضلا عن زوابع الرمال فهناك الاعصار ورياح السموم  
التي كثيراً ما تهب فتصيب الانسان والحيوان وتلفح الوجوه  
وتنشر رائحة كرائحة الحريق

وترتفع درجة الحرارة في النهار الى الاربعين والخمسين وتنزل  
في الليل الى العشرة وتبلغ الصفر في الشتاء .

وما اعظم ضرر هذا الاختلاف واسوأ تأثيره في صحة  
الابدان ولا سيما في الشتاء اذ يألف البدن حر النهار فيتأذى  
كثيراً من برد الليل . اما ليالي الربيع والصيف فانها بديلة رطبة .  
ويتساقط الندى بغزارة فيسبب الامراض المعوية وغيرها .  
ثم ان رياح السموم وما تنشر من رائحتها التي تشابه رائحة  
الحريق قد تستمر ثلاثة ايام وتكون الليالي قليلة الرطوبة او  
لا اثر فيها للرطوبة ، و يكون الفرق عظيماً بين حر النهار وبرد  
الليل في غير هذه الايام كما قلنا آنفاً .

وصفوة القول ان صحراء سيناء جامعة لمساوي الاقاليم  
الحارة والاقاليم الباردة . ويفتقر الذي يمر بها الى كسوة سكان  
خط الاستواء وكسوة سكان القطبين الشمالي والجنوبي .  
ويبهر نور الشمس العميون كما يبهرها لمعان الرمال وبنيتي صيانتها  
من الغبار والرهج بالنظارات المسدودة الاطراف

وبالجملة فان صحراء سيناء تضر بالعيون ضرراً عظيماً ويحمل  
ناموسها امراض العيون السارية المستقرة في مصر وفلسطين ،  
والماء هو اندر الجواهر واوحدها في سيناء وماء اكثر الآبار  
ملح وقد يكون اجاجاً . وتسبب البطائح<sup>(١)</sup> كثرة الناموس  
والذباب ولا يمكن التخلص من القمل في الصحراء ويقل اذا اشتد  
الحر ، ولكن تزداد البراغيث والناموس . وتوجد في سيناء  
حيات وعقارب واشباهها من الحشرات السامة

(١) جمع البطح : وهو مسهل واسع فيه دقاق الحصى



## ٨- الى القناة

مغادرة القدس - السير المنظم في الصحراء - « الآن  
جد الجدا » - الخلاصة - الحنير - وادي العريش  
الماء الماء ١ - ضباط الاحياط - الابن - الموقف  
الرهيب - الخبرتان - الجفجافة - حراسة الماء  
منشور قائد الجيش - كتيبة الخيل - الانوار  
الكشافة - نقل الجسور - السفن في القناة .

توجهنا من القدس الى بئر السبع بعد ان تناولنا في شباط  
سنة ١٣٣٠ آخر طعام غداء فاخر في « غراتدوتل » . وكنا  
نخترق الجواد الزدانة بين صفوف الناس الواقفين لوداعنا حيث  
يمتزج المتاف بالحنان الموسيقي ونحن نغذ السير<sup>(١)</sup> بتنازعنا عامل  
الطرب وعامل الحذر ، وكان يعرض في خاطري ان الذي  
اشاهده ليس لنا وان العواقب غير مأمونة .

كان على مقر الجيش ان يتبع نظام الصحراء ويكون قدوة  
في هذا الشأن ولذلك لم يأخذ احدنا معه اكثر من ١٥ كيلوي  
حقيقية لاينفذ الماء الى جوفها وذلك علاوة على ما نحملة معنا  
وتحملة خيولنا وقد سبقت الحيوانات الى بئر السبع من قبل .

(١) الاغذاذ في السير: الامراع



خرجنا من القدس وسرنا بعدها بين الكروم والجنان  
والمعابد والاديرة ، ثم اقتفينا طريقا كثير الاعوجاج في ارض  
صخرية وكان طريقنا مجلى تاريخ الانبياء باسرههم وحيوان  
التاريخ المقدس الذى احتوته العصور . فمرت هذه المناظر والمشاهد  
كلها امامنا مدة مسير السيارات . فمن « بيت لحم » مولد سيدنا  
عيسى الى البركة التى انشأها سليمان ، الى خبل الرحمن مشوى  
سيدنا ابراهيم . وقد اخذت المشاهد تتبدل بعد خبل الرحمن  
وتستوحش شيئا فشيئا وظهرت لنا الارض اليابسة القاحلة التى  
نسمى « عيدوم » وهى خط الفصل بين الصحراء وفلسطين .  
ومضت بنا السيارة الى « بان » بين بئر السبع والظاهرية ، وكان  
يصحبنى رأفت بك « رأفت باشا » وقد ابتداء الظلام يمد رواقه .  
وكان يخفق لواء عثمانى فى سماء بئر السبع وصادف شروق  
كوكب فى جانب الهلال فراقنا هذا المنظر فى السماء الزرقاء  
فوق الوادى الضيق القائم بين صخور « عيدوم » وجبالها الموحشة  
فى طريق مصر . ثم اختفت هذه السانحة السماوية وراء المناظر  
الجبلية الرائعة التى اعترضت سبيلنا فبقينا وحدنا فى الظلام ،  
وكنت ارى ان للمصريين والسكندانيين الحق فى ولعهم بعلم  
الفلك وشاهدنا مخيم كتيبة من العمال فسألناهم ان يعيرونا مصباحا

لتصلح السيارة، فأرسل لنا مصباح ومعه طعام طري ولم يكن الطريق بين بئر السبع والقدس موافقا لسير السيارات بل ان العجلات لم تكن تتجاوز خليل الرحمن . ولما كانت نقل مدافع الصحراء امر الابد منه مهد الطريق بين خليل الرحمن وبئر السبع . وكذلك فان الابل تأمن من الزلوق اذا سارت في طريق ممهدة وهي حاملة المؤن والذخائر

وقد تناولنا الطعام باشتهاء ولذة ونحن نشاهد القمر الجانح الى الغروب آسفين عليه وكان يخجل اليسان هذه الكتيبة من العمال سعيدة غنية بما لديها من الوسائل الكثيرة كالخيام والمياه والوقود والمآكل وهي خارجة عن منطقة الصحراء التي تبديء من بئر السبع . افلم يعرض ياترى في خواطر رجال تلك الكتيبة ما ستصير اليه في الغد حالة ضباط اركان الحرب الذين خدموهم فيغتبطوا بما هم فيه ؟

وكان بيننا وبين بئر السبع مسافة ١٥ كيلومترا وقد خيم الظلام وغاب القمر ولم نصل بئر السبع الا متأخرين لانتنا مرنا سيرا بطيئا كيلا نضيع معالم الطريق الظلمة الا قليلا في تلك الارض . وبئر السبع من اعمال القدس وفيها مسجد جميل ومبان مشيدة وسوق وهي تعد زهاء ١٠٠٠ نفس .

وفي صبيحة اليوم الثاني اخذ معسكر الجيش يسير سيرا  
منظما بعد ان قطع المرحلة الاخيرة من عالم المدنية والحضارة  
فمضى قائد الجيش والى جانبه رئيس اركان الحرب متباعدا عنه  
خطوة الى الشمال وامامه فارسان بمسافة مئة متر ووراءه مراققان  
في مسافة ست خطوات ويأتي بعدهما امراء المعسكر وضباطه  
اثنين اثنين بمسافة خمس عشرة خطوة على حسب مراتبهم  
وسبقهم ويتلوهم فرسان المعسكر وسائر اوضاعه .

وبعد ان غادرنا بئر السبع جاء فشيئنا قائد الحدود « بهجت  
بك » الزعيم اركان الحرب ، فدنا الي وقال : « الآن بدأت  
الحقيقة تواجهنا » وكنت اتذكر هذه الكلمة كلما سئمت لها  
مناسبة ، وانها الكلمة بليغة في تصوير حالنا .

وقد وصلنا الى المنزل الاول في « الخلاصة » بعد ثلاث  
ساعات وهناك بئر مستنبت حديثا وخيام منصوبة وراية  
مركوزة ولوحة مكتوب عليها « منزل الخلاصه » وكان علينا  
ان نأكل هنا ونستمر في مسيرنا الى حفير العوجة وعلينا ان  
نقطع مرحلتين في اليوم ونناولنا اول طعام من طعام البادية  
وهو بقسماط وزيتون وتمر ، ولم نصدق بسهولة ان بيننا وبين  
« غراندوتل » التي تناولنا فيها الغداء الشهي في مثل هذا الزمن

مسافة ٢٤ ساعة فقط ، فتبددت خيالات المدينة امامنا بسرعة فائقة ورأينا في هذا المنزل مضرب قائد الجيش ممزقا وفي جانبه ضابط احتياط وكنا راعيننا في القدس وفي بئر السبع نفسها منازل السبق والتقدم ولم نتساهل في تعيين المراتب ، فأبادت صحراء سيناء في لحظة واحدة كل هذه الرسوم والتقاليد .

وبعد ان انتهينا من طعام غير سائغ تجرعنا شربة من بئر خلاصة بدلا من القهوة ولم اتم قسمتي من البقسماط في طعام الغداء فاخذت اتمها على ظهر الحصان وقد برعت في آخر الامر بأكل البقسماط وكنت اكسره قبلا باسناني حتى كسرت احدى ثناياي ذات مرة ، ولما كسرت تذكرت قول صاحبي : الآن جد الجد ولم يكن لدينا طيب اسنان يداويها لان ملاك الصحراء لا يسمح بوجوده = اذ هو في الصحراء من النفائس والكماليات = غير اننا لا نمكث في الصحراء زمنا طويلا وامامنا مصر ونحن في طريقنا اليها وكل شيء فيها . . . امسينا في الحفير وهي آخر مركز للعثمانيين قبل الحرب وكانت مركز ناحية ومركز سرية نظامية وفيها ثلاثة ابنية مشيدة ووراءها بقليل الخط الذي يفصل مصر عن تركيا وفيها ايضا منزل ومستشفى وانبار وذخيرة ومركز برق وماء عذب .

ولما أصبحنا قصدنا وادي العريش ، وتأق بعد الحفير منازل  
ام شيخان ، الهلال ، الابن ، بئر حامه ، الخبرة الاولى ، الجفجافة ،  
الخبرة الثانية ، وتبعد كل واحدة عن الثانية ٣٠ كيلو متراً وقد  
قطعناها بالعدو السريع وخيمنا في وادي العريش بين ام شيخان  
والهلال وكانت خيالاتنا ترقص على الرمال في اثناء مسيرنا  
يهودين<sup>(١)</sup> او مسرعين .

واسترحنا في ام شيخان وفيها مركز برق وانبار وراية  
ولوحة ومنازة ومضرب وقائد منزل وموظف انبار وموظف  
اخبار ولكن لم يكن فيها ماء ، وكان في خظة الصحراء ان تستحدث  
هذه المستحدثات في كل منزل وكأنها موجودة من القدم وكان  
في المنارات المشتعلة موضع سلو للضباط والجنود وقطرات  
الاباعر التي قضي عليها ان نواصل السير بالسرى .

حللنا مساء في «وادي العريش» وكانت تقدمتنا التجربة  
واخذت اخذ القناة وقد مهدت الارض الرملية في جوار وادي  
العريش لاجل نقل الجسور والمدافع الكبيرة وانتفع من الاشجار  
الشائكة في تمهيدها ، ولم يكن ليصدق ان خميسا عمرما  
يستطيع ان يمر من هذا المكان . وكنا نشاهد هنالك الاباعر

(١) التهويد : المشوارويد مثل الديب

المقاة في حالة الاحتضار واستدللنا على مواضع الماء في العريش  
بما كان لدينا من الخرائط والعلامم فوصلناها وقد اعيانا التعب  
واجهدنا العناء ونزلنا عن خيولنا لترفه عنها .

اما الماء فلم نجد منه الا اليسير في قعر الصهر بج مملوأ  
بالديدان ، وقد كان في الحفير ماء بئر فوقفنا على طرف الوادي  
ولم نجراً احد منا على الشرب من هذا الماء القدر . وفي وادى  
العريش هلك قائد ( هولاكو ) ولم يكن في استطاعتي ان  
اتلف على هولاكو ولا على قائده لاني كنت من الماء في شغل  
شاغل . وقد ذهب الى الماء المرافق صلاح الدين بك وبيده  
وعاء يحاول املاءه وهو من اشدنا عزماً وابعدنا همة فلما رآه  
رئيس الصحة في الجيش نادى : ان الماء غير شروب فينبغي ان  
يغلى ويوضع في « اوعية الماء » ، فنظر صلاح الدين بك الى  
رئيس الصحة نظرة التوكل الذي لا يبالي وقال : فلنطبخ الشاي  
اولاً . وهذه مقايسة بليغة بين الحقائق والنظريات فاكتفى  
الرئيس بهذا الجواب وقام بما عليه من الوظيفة الادبية ولم يكن  
يجهل استحالة انفاذ ما امر به .

صفي ماء وادي العريش ووزع عند الصباح ولم يحتاج احد  
الى السوء آل عنه فيما اذا كان فد غلي ام لا . ولما وقفنا بعد ايام على

منازل المياه المالحه اخذنا نفتش عن هذا الماء ولكن لانجده  
كان الوادي يتضابق بين الجبال في المكان الذي كنا به  
وكان لهذه الجبال الوان مختلفة ولها ارض صخرية وكانت شمس  
الاصيل تسيل على الصخور فتصغها بالوان مختلفة ، وابتدأ برد  
الليل القارس ورأيت قطارا من الابعار يقترب ما بقيادة بدوي  
يحدو حذاء لا يفهمه غيره وغير ابله التي يسوقها الى الورود

وان في الابل وصاحبها عبرة لنا ، انهم يعالجون الامور  
معالجة فعلية وقد وردوا الماء الآسن بدون تردد ، اما نحن فقد كنا  
نتنظر معجزة من السماء كمعجزة موسى لما ضرب بعصاه الحجر  
فلنبجرت اثنا عشرة عينا

فانظر الى هذا الحادي كيف لم يستغرب ظهورنا في هذا  
المكان الموحش لانه من اناس الفواروية الحوادث الفجائية وهم في  
بداوتهم يتجاهلون ظهور جيش من غير ان يأتينهم زبأعه وكأنا  
كانت بيننا وبينهم مة اقدة فلا يدخل احدنا في امر صاحبه ، ولعل  
ذلك الحادي جاء فسقى من مائنا بتأثير تلك المة قدة المظنونة  
واقول من مائنا وهو في الحقيقة ماوه الا انه جاءت بالامس قوة  
اكثر منه نفوذاً ومقدرة فبسطت سلطانها على كل المياه التي تمتد  
بين بئر السبع والاسماعيلية . ومن ذلك الحين اصبح ماء وادي

العريش الراكد الآسن قاعدة منازل للجيش الزاحف  
رقدنا في وادي العريش واستيقظنا مبكرين فسرنا الى  
الابن واسترحنا في الهلال وهو منزل يشابه ام شيخان في نضوب  
الياه وقد اكرم قائد المنزلة مشوانا ، واعمله رق لنا فاهدى الينا تمرا  
كنا نختار احسنه وأطيبه

قاد المازل في صحراء سيناء شبان الامة الاذكياء من ضباط  
الاحتياط الذين غادروا بالامس قاعات الدرس ولم يبلغوا العشرين  
من عمرهم ، وكانت الحاجة الشديدة تدعو اليهم وما اكثر حاجات  
الجند الذين يرون بهذه السبل فلا غرو اذا تهادوا في اعطاف  
الخيلاء والفخر وظهرت عزائمهم ومواهبهم في هذه الصحراء وهم  
لم يمارسوا اكثر من اسبوع او شهر او سنة وكانهم قطعوا من  
مسافات الحياة اكثر مما قطعه انرابهم .

فيا ايها الشباب القيم الذي هو رجاء الوطن وموضع آماله !  
ان تفانيكم في صحراء سيناء يملأ قلوبنا فخرا وحرنا . ولقد كان  
ينبغي ان تكونوا اكثر نفعا وفائدة لهذا الوطن تتسابقون على ورد  
المنون في سبيله .

وصلنا الى الابن في مساء السابع من شباط سنة ١٣٣٠  
ومعظم قلب الجيش في (بئر حامي) والقربق الاول في الخبرة الثانية



بقيادة الزعيم كمال بك ، وقد وافق بئر السبع مقدمة الفرقة العاشرة وما بقي منها قام على الاثر واما تجريدة الحجاز فلم تكن بدأت في مبارحة معان

وكان في الابن مفتش المنزل على رضا بك من اركان الحرب وهو منزل مهم وان لم يكن فيه ماء . وكان هنالك مستودع ارزاق ومستودع ذخيرة وخيام ومضارب وآخر مركز للبرق وغير ذلك فتناولنا طعام المساء في خيمة عربية على مائدة بسيطة ولم نبق تحت السماء ، وجاءنا البقسماط في ارقى اطواره مبلا في اطباق ، ووجدنا في قائمة الطعام بقسماطاً وحساء وز بتونا وتمراً وشايا ، وقد اجتهد الجند الذين قدموا لنا الطعام ان يجعلوا للمائدة منظره لطيفة تشابه ما في دمشق والقدس على طريقة المناوبة ، وكانت روموسنا منحنية بين جدران خيمة ضيقة امام الشموع المضطربة ونحن نأكل بهدوء وسكينة ولم يلبس رئيس اركان حرب الجيش بنت شفة بل ظل ساكناً ساكناً وكأنه يقول في نفسه ان هذا السفر الذي لا فائدة ترجى منه ولا معنى له من عمل فون كريس فاذا فرضنا الحال ونجحنا فيه فله الفخر كله ، واذا لم تنجح فلرئيس اركان الحرب نصيبه من المسؤولية وليس لجميع هذه المتاعب المبرحة غير هذه النتيجة ، ولكن لا يجوز

ان يشعر ضباط الاتراك بما اجده في نفسي بل يجب التفريز بهم  
حتى يفعل الله ما يشاء . وذلك ما تقضى به الوطنية على ضابط  
الماني .

هذا هو السر في صمت الرئيس غير ان القلوب تتشاهد  
ولرب صمت ابلغ من كلام  
اخذت افكر في الموقف واستملي خواطري تلك الحوادث  
التي مرت امامنا تباعا فاتسعت في عيني مسافة الخيال وعظمت  
في نفسي يبداء سيناء وتراعى لي حل صناع الجسور من ادرنة  
وحشد قطرات الابل وتذكرت ما لقيناه في التشيع والاستقبال  
من الحفاوة والاكرام وسمعناه من دوي التصفيق والتهنئة فجال  
خاطري جوفته في هذه الساحة التي لانظير لها والتي ترمي الى  
المأساة الكبرى في غزوة مصر .

وبقيت الحرب قائمة في نفسي بين الحقائق والاحلام الى  
يوم القنائة الثاني فطورا كانت تغلب الحقائق وطورا كانت  
تغلب الاحلام ، ولكنني - ولا بد من القول - كنت اميل  
الى التفاؤل والفضل لواقعة القنائة في شفائي من هذه العلة فقد  
بددت تلك الغياهب باسرها وتوافقته والحقيقة وجها لوجه ،  
فيالك من يوم لم اشهد به تجر يدة القنائة التي ذهبت ضياعا في

سبيل الاحلام الباطلة بل شهدت اضمحلال مملكة وافول نجمها

فلن اكون من عباد الخيال ما حبيت ا

ولما بلغ معسكر الجيش الابن كان في حفير العوجة والداخل  
والابن الداخل ١٠٥ اطنان من البقسماط و ٢٤ اطنان من التمر و ٤ اطنان  
من الزيتون وهي تكفي جيشا موءلفا من خمسة وعشرين الفا ٩  
ايام وذلك ماء ارضا ارياق الايام العشرة التي تحملها القطارات  
النقالة وما يحمله الجنود انفسهم ، ولم يكن هناك شعير

بقينا في الابن اسبوعا تعاطينا فيه بعض الاعمال ، وقد أمكن  
تجريدة الحجاز ان تبرح معان متوجهة الى القناة بعد مساع خارقة  
للعادة و كذا يتسنا ان تبرح مكانها لكثرة ما كانت يعترضها من  
العقبات الشديدة في تدارك الابل واتبعت هذه التجريدة طريق  
قلمة النخل وهي تقطع خمس عشرة مرحلة على الاقل حتى تصل  
القناة ولم يكن في هذه المسافة غداء ولا ماء وقد اجتلبوا من الحجاز  
زمرة من حفار الآبار للبحث عن مكان المياه وتستنبطها للتجريدة  
وغادرت مقدمة الفرقة العاشرة بئر السبع في ٨ شباط وهي  
مؤلفة من لواء مشاة وكتيبة مدفعية ولم تكن انظمتها مشابهة  
لانظمة الفيلق الثامن ، وقد انشي فيها لواء للانتقال بحمل طعام  
عشرة ايام وماء يوم واحد .

حظيت بي الابن بالرقاد في مضرب على قطعة من الاديم  
وكننا في سائر الاماكن ننام بين الرمال والتراب وتحت قبة السماء  
وقد تمكنت ايضا من ان اجد صندوقا اتخذته منضدة

وكان منزل الابن مقرا ثابتا وفيه اعشلت معيشة صحراء  
سيناء قليلا ، وتلك المنضدة وذلك الاديم من مظاهر تحسن الحال  
قنا من الابن في ١٣ شباط سنة ١٣٣٠ ووصلنا بئر حامه  
في ساعتين وهو داخل في منطقة منزل الابن . ولم تتجاوز  
الاسلاك البرقية الابن ، ولم يكن لدينا طيارة او يرق لاسلكي  
وامثالهما من الوسائط الحديثة ولم يبق غير الدلل لحمل البريد ففرقنا  
في اعماق المجهل والمهامه<sup>(١)</sup> وبعد ان استرحنا قليلا في بئر حامه  
استأنفنا المسير الى الخبزة الاولى ولم نرقد الا ساعات قلائل وكان  
فيها بئر ماء في وسط الرمال المنعقدة اللينة .

نهضنا مغلسين<sup>(٢)</sup> في اليوم الثاني ودرنا ساعات بين الرمال  
لانا لم نهتد الى الطريق وقد طمس الاثر الذي اقتفتة التجريفة  
وغاب في الظلماء . ولما انشق جانب الفجر وجدنا انفسنا في الخبزة  
الاولى وقد رسمنا دائرة في الظلماء حولها . وكثيرا ما تقع هذه

(١) المهامه جمع مهمه : وهي المغازة بالمعبدة الاضراف

(٢) غلس : سار وقت الغلس وهو ظلمة اخر الليل

الحادثة الغريبة في الصحراء اذا لم تنصب الاعلام وترفع المنائر

لهداية ابناء السبيل .

علّى اني كنت اقول في نفسي والحياء آخذ مني مأخذه :  
لن تكون هذه الحادثة موضع نخر لغزاة مصر ، فاذا ضللنا في الخبرة  
الاولى فكيف نخرج من العبء العظيم الذي اخذنا انفسنا  
بالنهوض به .

ولما انجلي الدجى ترسمنا اثر الابل فوصلنا الجفجافة عند  
الظهر وبينها وبين الخبرة الاولى مسافة ٣٠ كيلومترا وهي ارض  
يابسة الاكثاف متشعرة الذرى لا ماء فيها ولا نبات ولا حيوان  
الا قليلا من القناد ومستحاثات<sup>(١)</sup> الحيوانات البائدة ولم يكن فيها  
ناموسة ولا ذبابة فوق ذلك ، ولكن فيها منزل يسمى الجفجافة  
ولوحة منقوش عليها كلمة المنزل ويركز في جانب اللوحة في النهار  
راية وفي الليل مصباح ، ولم يكن من فائدة لهذه المنازل التي  
لا طعام فيها ولا شراب سوى انها تبين للجنود الذين يصلونها انهم  
قطعوا مسافة ٣٠ كيلو، ترا فيجلسون ويستريحون هنيهة من عناء  
السفر وياتون على ما في حقائبهم من ماء وزيتون .

ثم غادرنا الجفجافة قاصدين الخبرة الثانية بعد ان استرحنا

(١) المستحاثات : بقايا الحيوان التي بنفدها شي من المواد الترابية فتصير كالحجارة

فيها نحو ساعتين وقد قطعنا ثمانين كيلومترا في ٢٤ ساعة بعد  
الابن وبيننا وبين الخبرة الثانية ثلاثون كيلومترا . وهذه  
شقة بعيدة قطعناها في سيرنا ولم يكن لدينا من الزمن ما يسمح  
لنا بالتريث وكانت الغاية تقتادنا وتجتذبنا وقد اصبح الفيلق  
الثامن في جوار القناة ولا يمكن انتظار تجريدة الحجاز لان  
الارزاق تنفذ في المكث الى حين مجيئها .

ولذلك تحتم الامراع بالهجوم على القناة ولم نلتق بمسكر  
الفيلق الثامن لانه كان يحافظ على سبقه ايانا بمسافة مرحلتين  
وكأنه يعمل على تجنب لقائنا ، وكأنه يريد ان يبلغ القناة ويرتمي  
عليها قبل ان يبلغها معسكر الجيش الذي يرغب من صميم فواده  
الاشترك بهذه الواقعة التاريخية

وهذا هو سر ذلك التهاك الخارق الذي يصح ان يشبه بالذين  
يتسابقون الى الهاوية .

اما الخبرة الثانية فهي بقعة من رمل انشئت فيها بعض  
المعاقل للتحصن بها اذا هجم العدو . وفي جوارها مكان يقال له  
الخراب وهناك اطلال صهاريج عافية . فلن هي ؟ ولأي  
مدينة متقدمة وحضارة دارسة ؟

ولماذا يقال لهذا المكان 'الخبرة الثانية' ؟ اويس من

المنطق تمرير هذه الامكنة بالأرقام اذا لم يكن لها معييات لم  
 يكون ذلك الا من السماء في الاجابة على اسئلة كثيرة ووعما قريب  
 بعد الفناء اما نحن نحسب ان نتسائل عنها .

وهو ان في التجربة الثانية مجتمع مياه كانه بحيرة بقيت من  
 الظلال تلك السنة لو كانت من آثار رحمة الله الصرفة التي  
 لا توقع ، وقد وقعت القوى المتوجبة الى الاسماعيلية على تخزين  
 ماء في وسط البيداء فقلت الحاجة الى قطرات الابل التي  
 تخمّل المياه

لقد احسن الانكليز ظنهم بنا اذ قالوا اننا قصدنا هذا  
 المكان عن سابق علم ومعرفة بالماء الذي فيه على ان عثورنا به لم  
 يكن الا اثر الصدفة والاتفاق وتحيب ان يكون الماء قليلا فيه  
 فتحتم التصديقي الفخافة ووعبياته من الانراف فأمر بان يضرب  
 حوله نطاق من الحرس المدججين فلا يدنو احد اليه ولا تؤخذ  
 قطرة الا بأذن رسمي وقد تولى هذا العمل القائد سعد الله بك  
 من اركان الحرب « وهو احد متدوبي الترك الذين  
 عقدوا الهدنة » .

جرت السقاية على اساس منظم وقاعدة لا تختلف عن  
 قاعدة الصيارفة في انفاق الدراهم بمقدار او قاعدة الجراية في

توزيع الماء والعدة في الذخائر، ولما اشروط فيما يستوعبه  
الوعاء واشباه ذلك

ولم يؤذن لغير الخيول بورود ذلك الماء، اما الابل فقد  
ذيدت عن الورود كل يوم . وهي التي تواصل دأبها ولا تذوق  
طعم الراحة ولما فصل اطراف الماء بمد برقاها منظلة اليه ولا  
تبل غليلها بقطرة والماء محمول على ظهرها تطوي المراحل والمنازل  
من غير ان يكون لها حق بوشلة<sup>(١)</sup> منه فما اقسى الانسان وما  
اوحشه ا

ولما كنا نجد في معسكر الخبرة امر رئيس اركان الحرب  
ان لا يغسل احد يده غير القائد العام ولا يتعجب من هذا  
الامر بل يعد زائدا لان الضرورة تقضي بكل شيء ولا يجوز  
الاسراف في الماء المخصص لاربع وعشرين ساعة  
بلغ معسكر الجيش الخبرة الثانية في ١٥ شباط سنة ٣٣٠  
فاصبح الموقف كما يلي :

الفيلق الثامن في جوار القناة ومقدمة الفرقة العاشرة في  
الخبرة الاولى ومقدمة تجر بدة الحجاز تكون في قلعة النخل بعد  
ثلاثة ايام .

(١) الوشل : الماء القليل



وقد نشب خلاف جديد بين الجيش والفيلق في الخبرة الثانية فكان الجيش يرى تأخير الهجوم حتى تصل تجريدة الحجاز ووصى بذلك الفيلق فاستشاط غضبا واجاب ان هجوم القناة لا يكون حسب الملاحظات العسكرية وحدها بل لا بد من ملاحظة حاجة الجيش الى الماء ولا يوجد امامنا منزل ماء يعول عليه فنزل الجيش على حكم الفيلق مرة ثانية

وحقائه ليس في مقدورنا تأجيل الهجوم الى اليوم الذي نريده لان المسكر مفتقر الى الماء والزاد ولا تكفي قطرات الابعار لنقل ما نحتاج اليه .

اما العودة الى الورا فحديث خارج عن الموضوع مطلقا ولقد كانت حال التجريدة العثمانية هنا اسوأ من حال الجيش العربي الذي عبر به قائده مضيق جبل الطارق واحرق السفن لان بأر السبع الذي هو اقرب المنازل بنا بعد ثلاثمائة كيلومتر وصحراء سيناء اشد خطراً من مضيق جبل الطارق والتدبير الوحيد هو الارتقاء على القناة ولم يبق الا ان تشعل نار الحماسة في قلب كل فرد من افراد الجيش ويلقى في روعه اقصى ما في العزائم والعقائد من يقين وهمة كيلا يألو جهدا من مجهوداته المادية والمعنوية ولذلك اذاع قائد الجيش بيانا عاما وصف فيه

الموقف وصفاً صحيحاً وذكر ان الارزاق والمياه والنجاة والظفر في  
العدوة<sup>(١)</sup> الثانية من القنائة وان امر الشهداء من الضباط تعطى  
مرتبات وديات ويشرى لاولاد الشهداء من الجند مزارع وقرى  
متى تم فتح مصر وامر كل رئيس ان يقتل مروثوسه متى اجم وثاقل  
قصداً قصد القنائة بعد ان روحنا عن انفسنا ومكثنا يوماً  
في الخبرة الثانية وكان هنالك هضبة تسمى كتيبة الخيل تمتد  
فيها التجربة وتعد عدتها وهي وجهتها المقصودة في مسير ذلك  
اليوم ، ولما توارت الشمس في حجابها وفرغنا من العشاء مضينا في  
سبيل قصدنا متوقعين في كل لحظة ان نشاهد بعض طلائع العدو  
وكان يحمل رأفت بك مجنباً بقي لديه من ايام مطاردة  
العصابات البلغارية ومسدسا ويحمل رئيس اركان الحرب مسدسا  
وحقيبة ووعاء ماء ومصباحاً وكنت اكثرهم اعباء

قطعنا المرحلة الاخيرة والشوق بالغ منا مبلغه وانياؤنا  
تستطيل على الرمال قبيل غروب الشمس استطالةً لاحد لها . ولما  
جنّ الليل اخذنا نسير متثاقلين في ارض كثيرة الرمال وقد اعيانا  
التعب في مواصلة الجهد مدة يومين وسرنا مهومين<sup>(٢)</sup> وامامنا ضوء

( ١ ) العدو بضم العين وكسرهما : المكان المرتفع او جانب الواد

( ٢ ) هوَم الرجل تهويماً : اذا هز رأسه من النعاس

تنبؤه من بعيد حاسبين انه يضيء في كتيبة الخيل وكنا انتهت  
 عليه متأملين بلوغ القصد. ولما دوننا منه عرفنا انه لم يكن ضوء مصباح  
 ولكنه ضوء نار صامية ، فأبنا ان نخرج على هذه النار التي املناها  
 وترجل قائد الجيش وترجلنا معه فوجدنا فرقا من جنود الاستحكام  
 يحرسون بعض الجسور الثقيلة التي تبوم ويلزمهم ان يلبغوا مكانها  
 في الميدان

وكانت الانوار الكشافة على ساحل القناة تبلغ هذا المكان  
 وتنعكس الوانها على ذرعة الرمال ، وقد القنا مناظر الصحراء  
 المشابهة وسمنها فتبدت المناظر ودخلنا في ساحة الانوار  
 الكشافة التي كانت لشدة قوتها تقطع مسافة عشرين كيلومترا  
 وما اشق عمل ذلك الفريق من جند الاستحكام فانهم كانوا  
 يعينون ستة ثيران على سحب جسر لم تطق سحبه وما اشبه هذه  
 المنظره وابلغها : منظره تعاون البشر والثيران لعاوننا قليلا وكان  
 يوقد النار جنود لم يصرفهم صهيء القائد عما كانوا فيه من  
 عناية واهتمام . وفوق النار قدر فيه رأس بعير ذبيح يطبخ قد  
 افرغوا عليه مائي اوعيتهم من المياه فوقفت انتظر نضوجه ،  
 واخذت الثيران قليلا من الراحة في أثناء هذا الانتظار . ووقف  
 معسكر الجيش بفضل البعير يستريح زمانا لم يكن في خطته ، غير

ان البعير لم ينضج وكان على الجندان يانغوا الجسر مكلنه قبل مطلع  
النجر فامرهم قائدهم بسحبهم فاخذوا يسحبونه مع الثيران غير مبالين  
بالانوار الكشافه وذهبت مساعيم اذراج الرياح ، فلارأس  
البعير نضج ولا ما و هم بقي وخابت آمالهم . وهل ينقص غزوة  
مصر خيبة آمل ؟

ان نقل الجسور امر شاق وقد رأينا مشقته باعيننا و عرفناها  
بانفسنا فقطعت الجسور صحراء التيه ووصلت الى القناة ولم يذق  
ساحبوها من الضباط والجنود حساء مدة اسابيع

اثر في نفس رئيس اركان الحرب مارآه فقال بناجي ربه :  
« اللهم ارحم هذه الامة المسكينة وتمعها باستقلالها جزاءً وفاقا لما  
قاسته من آلام وعائته من مشقات ، واذا لم تبلغها آمالها فاني  
اشك في عدلك » . سمعت هذه الكلمات منه ورأيت الدمع  
يتساقط على وجنتيه فامتلات جوانحي شكرا له لم اشعر به من قبل  
ولا ريب ان هذه الكلمات خرجت من اعماق جوارحه ،  
غير انها من الشعر والشعر ابعد ما يكون عن تعبئة الجيش وان كان  
يتصل بالجندي في بعض شؤونه ، اما تعبئة الجيش فأنها تستند  
على قواعد رياضية ولا يستطيع شعر او مناجاة او اي شيء ان  
يوثر على حكم القوانين الطبيعية بعد ان بلغت هذه الحملة القناة

التي حمتها انكثرة باسطولها وانشأت فيها سدا من حديد ، والظفر في الحرب نتيجة صراع القوى المادية فيدركه من كان اشد بأسا واكثر عدة واعظم قوة مادية . واما القوة المعنوية فانها تعين القوة المادية فتزيد في العزيمة والثبات والصبر ، وتسمو بهذه الخصال الى اسمى درجاتها التي تعين على ادراك الظفر وليس للقوى المعنوية تأثير غير ذلك . ثم ان الذخيرة المحدودة والمدافع ذات الخمسة عشر سنتيما لاتفي شيئا في مباغته حماة القناة الايقاظ ، ولو امكننا عبور القناة لجاء الاسطول وخرب الجسور وقطم مواصلات الحملة غير انه لم يكن مجال لأعمال الفكرة في هذه المواضع ولم يبق لنا غير المخاطرة وبذل العزائم والهمم باقصى ما يستطيع حتي نتم ما بدأنا به ونخضع احكام المقادير ونجعل الاستجيل ممكنا برحنا موضع الاستراحة واخذت انوار الكشافة التي لا نعرف مقرها نتطير فوق رؤوسنا فكان الجن والشياطين اقاموا في هذه الليلة زينة خارقة للعادة

ثم وافينا كتيبة الخيل فرأينا انفسنا امام منظر سحرية ورأينا القناة امامنا ورأينا الكشافة المصفوفة في جانب بعضها بجيث لا تبعد الواحدة عن الاخرى مترين او ثلاثة فتقلب الدجى نهارا وتظهر قناة السويس كقرص من الجين وتتألق السفن

في مجراها بما يسطع عليها من الانوار وتسير في القناة سيرا  
وثيدا<sup>(١)</sup>

ولاحت لنا مدينة الاسماعيلية ومواقع طوسوم وسرايوم  
هائلة ساكنة ورأينا ظلال السفن في الماء وأثارها في السماء . ولا  
استطيع ان اصف تأثير هذه المنظره التي فاجأتنا بغتة وكنا نظن  
ان صحراء سيناء لاحد لها ولا نهاية بعد ان قضينا فيها اياما طويلا  
بين كثبان الرمل والاعاصير والحيوانات المتججرة وقد ظهرت  
لعيوننا الآن مناظر مدنية خلابة ، فكان محاسن الحياة وبدائعها  
خرجت لنا من جوف الرمال فجأة بكل ما فيها من رقة وروعة  
ما كان اجمل مرور السفن في القناة وكأننا قدمنا لنفسد هذه  
المناظر الساكنة الوادعة وكنت اشعر تأنيبا في نفسي ووخزا في  
ضميري . وقد ساورتنا الحيرة لان جميع الاهوال التي كابدناها  
والاخطار التي اقتحمناها في الصحراء لم تقع السير والسفر في القناة  
وكان ذلك استهزاء بنا . ولعل ركب السفن وقفوا على ظهورها  
بعد ان اكلاوهنيثا وشربوا مريثا وراحوا يتمتعون بمناظر المدينة  
البدية التي وهبتها اياها الانوار الكشافة ويستبقون في خواتمهم  
ذكراها . فلنا بعض الحق اذن في مهاجمة القناة اتسماما من

(١) اتاد في مشبه وتواد «من التودة» : وهي التاني والتهمل

## المبتهزين ا

التيء في كتيبة الخيل موقف رصد ووقف فيه احمد  
ضباط اركان الحرب يبتنا بما يراه فذكر ما يظهر له من السفن  
التي تمر ووجهة سيرها والانوار الكشافنة والقطرات المدرعة  
والطرادات واشباه ذلك .

وكان هذا الضابط يروي مشاهداته ساكنا هادئا من يروي  
حادثة مألوفة لاشان لها وكانه في تمارين حربية في جوار الإستانة  
او كأنه يلعب لعبا حريا في دائرة اركان الحرب العامة وكان  
هذا الضابط في طوره اهدأ من القنائة واكثر سكينه واربط جأشاه  
واذا نظرنا الى الاشياء من حيث طبائنها رأينا في هذا الرصد  
فوق هذا المكان ما يعث في النفوس من الهياج مالا يستطاع وصفه  
نمنا في رمال كتيبة الخيل اللينة في حفائر صغيرة احتفرناها  
الى ان ايقظتنا الطيارات في فلق الصبح .



## ٩ - الغارات

خطة الهجوم - الأوامر إلى الجيش - تقييم  
 المهاجمين - واجبات الذين يعبرون - حماة  
 القناة - مجازرة فون كريس - احتياط  
 الجيش - طامنة هائلة - الكتيب ذو العلامتين  
 الضلال عن مكان الرصد - العبور - اشتراك  
 القطرات المدرعة في القتال - الشهيد الرهيب  
 الأعياء في الجنود - حقيقة الموقف .

اجتمع قائد الجيش وقائد الفيلق وسائر القادة وضباط اركان  
 الحرب والضباط القوارس في مساء ١٩ شباط بعد ان رجعت  
 آخر طائرة للعدو من اجراء كشفها وذلك لتلقي خطة الفيلق  
 الثامن من فون كريس بك حتى يعرف كل امرىء تفاصيل  
 ما يتعم عليه القيام به ولا يبقى مجال لشبهة او تردد . وكانت خطة  
 الهجوم تستند على اساس المباغتة ، والمكان الذي وقع عليه الاختيار  
 بين طوسوم وسرايوم اي بين الاسماعيلية و بحيرة التماسح و بين  
 البحيرة المالحة القائمة في جنوبها وهو بعد قليلا عن مكان  
 اجتماع الجيش وتقوم خمس كتائب بحركة العبور وتظاهر سائر  
 قوى الجيش وسرايا الاجنحة بهراجة الانحاء التي تقابلها من



القناة ، والقوة التي يباط بها العمل تبرح مكان اجتماعها في مساء اليوم المقبل بعد غروب الشمس وتسير موازية للقناة ثم تجتمع في جهة العبور لاخذ الابهة وبعد ذلك تنقلب الى اليمين وتوجه الى القناة . واليك بيان الاوامر التي اعطيت لها :

- ١ = انسحب جيش العدو بأمره الى عدوة القناة اليمنى
- ٢ = تغير على القناة ليلة ٢٠ - ٢١ شباط سنة ١٣٣٠ محاولة الأستبلاء عليها
- ٣ = يغير الجناح الايمن على القنطرة واللواء ٦٨ على الاسماعيلية والجناح الايسر على السويس
- ٤ = تقف المدفعية الثقيلة في جنح الليل مستعدة مع كتيبة المشاة في ( بير فواره ) ومد المدفعية بكتيبة من اللواء الثامن والعشرين وعليها ان ترمي سفائن العدو وتخربها في بحيرة التماسح واذا تيسر لها تفرق سفينة النقل عند مدخل القناة وبعد ان تتم هذا العمل يقصد الجنوب وتطلق نارها على السفن الراسية في البحيرة
- ٥ = نتهياً الوية المشاة في معسكراتها لتسير في الساعة السادسة بعد ظهر يوم العشرين من شباط ويقود رئيس اركان الحرب الزحف الاول .

وتساق الالوية في بادئ الامر الى حيث يوجد صناع  
الجسور وتأخذ كل قنة مهاجمة من السرايا ثلاثة جسور ومعها  
جند الاستحكام ثم تساق الى موضع التأهب ويأخذ فون كريس  
قادة السرايا بعد ظهر ٢٠ شباط سنة ٣٣٠ ليدلم على مواطن  
الهجوم ومواضع رفع الجسور فيقفون امام القناة التي هي غرض  
المهاجمين وتقف وراءهم سرايا الخط الثاني .  
ثم يكون المهاجمون ثمانية اقسام وتترك الحيوانات والعجلات  
وخيول الرشاشات في مكان التأهب ويكون الجند المهاجم او  
الجند المرابط في الخط الثاني على نظام السرية وتحمل كل زمرة  
جسراً وتكون المسافات التي تفصل بينها ٤٠ او ٥٠ خطوة  
ويسبق كل زمرة نفر من الكشافة يقودهم ضابط صغير ويؤلفون  
من ستة جنود ، ويقود كشافة القلب ضابط وتمشي الكشافة  
منفصلة عن بعضها بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ خطوة وتسير  
وراءها السرايا بمسافة ١٠٠ خطوة وتبعتها سرايا الخط الثاني  
بمسافة ٣٠٠ متر ويستمررون سيرة سيرهم بلا انقطاع الى القناة  
حتى يقطعوا ثلاثة اواربعة كيلو مترات بتدري من مكان التأهب  
ويركبون الجسور على القناة وتحتل افواج الرشاشات سد  
شرقي القناة وتقابل العدو اذا اطلق عليها النار .

وفي هذه الاوامر تفاصيل ما على الجنود الذين يعبرون من الواجبات في العدو الثانية فالسابقون اليها يحتلون الماء ويمضي السريتان الاوليان في جهة الغرب مسافة ٥٠٠ أو ١٠٠٠ متر وبعد ان تمتد سائر العساكر تحتل الكتيبة الاولى راية طوسوم بقوة يسيرة ويتخذ ما بقي احتياطاً في جنوبي الراية ويتقدم لواء متوجها الى السكة الحديدية من الغرب ويقف في طرف في السكة امام الاسماعيلية ويذهب لواء آخر في جهة الغرب نحو السكة ثم ينهطف الى الجنوب فتستقر هنالك كتيبة منه لاجل حماية الجناح الايسر وتكون الكتيبة الثانية احتياطاً للقلب فاذا صادف مقاومة هجم بالحراب وببشبي الاستحكامات في المواضع التي يحتلها

ويفهم من هذا الايضاح ان الغاية التي يرمي اليها الفيلق احتلال ساحتين كلاهما تسامت<sup>(١)</sup> القناة عموديا الواحدة من الشمال والثانية من الجنوب وكلاهما بين السكة الحديدية والقناة وكان على كل واحد ان يضع على ساعده شارة بيضاء لاجل التعارف واتخذ كلمة « اللواء الشريف » شعارا ومنع الكلام والدخان وامر ان تربط آلات التحكيم والحراب وسائر الآلات

(١) سامتة : قابله

ربطاً محكماً حتى لا تتقلقل ولا يستمع لها صوت وامران لا  
تحشى البندقيات محاذرة وقوع خطأ يفشي سر المباشرة وان  
تعلق الحراب في رووس البندقيات

واذا لم ننظر الى التمكن من اتخاذ هذا الامر او لخدمه  
فاننا نجد قد احتوى من البراعة في حسن التأليف ومن سمو  
الهمة وبعد العزيمة ما يجير الالباب .

فالبلاغ الذي اصدره المرحوم سليمان باشا بعد ان صلى  
ركعتين قبل الاشتباك بمعارك « شبة » التي دامت سبعة ايام  
ليل نهار و بلاغ واقعة قرق كليسا التي فصلت في حرب البلقان  
لم يكن فيهما جمال هذا البلاغ وروعته ولا اتقان تفاصيله وفروعه .  
وقد اثر في نفسي منه اكثر من كل شيء المادة القائلة  
بتخريب السفن التي في بحيرة التماسح وتطلق النار بعد الانتهاء  
منها على الطرادات التي في البحيرة المالحة وكان الالمان يعطلوننا  
وييوننا في الآستانة بقولهم ان المدرعات لا تستطيع اطلاق  
النار من القنارة لأن اهتزازاتها تقوض الاسداد فانظر الى ما في  
التلقين وتكرار القول من عظم التأثير فلقد قنعنا بذلك والفته  
نفوسنا حتى كنا نظن ان بقاء هذه السفن هو على سبيل خطأ  
وغفلة وانها لا تعتم ان تعرطسها قنابلنا

ولم يكن فيه تفصيل عن قوى العدو وان كان لدينا علم  
بها من قبل واليك ما اتصل بنا :

انشيء خطان للدفاع عن القناة الاول في شرقها والثاني  
في غربها والمعول عليه خط الدفاع الغربي واما الشرقي فهو  
للحراسة والمراقبة غير ان القنطرة كانت منيعة ويمتد موضع  
الدفاع الاساسي ثلاثين كيلومترا ويصادف شمالي القناة  
ووسطها .

في خطوط الدفاع مدافع ثقيلة وخفيفة والغام ورشاشات  
تحمي القناة من اولها الى آخرها وقطارات مدرعة رمادية اللون  
وفي كل واحد مدفعا سفينة ومدفعات رشاشان و ١٠٠ مقاتل  
وكان حماة القناة يناهزون ١٥ الفا بين هندي وبريطاني ما  
عدا قوى المصريين والعمال وان لم يكن لدينا تفاصيل عنهم  
وفضلا عن ذلك فانه من الهين ان تجد القناة يوما فيوما  
بالجيوش التي تمر بها قادمة من المستعمرات في آسيا واوراليا .  
وقد اغفل ذكر ما تقدم حتى لا يؤثر في قوة المهاجمين المعنوية  
التي فون كريس محاضرتة والشمس تغرب في آفاق مصر  
والجو ساكن والهواء طلق والموقف رائع ونحن على اهبة الواقعة  
التاريخية التي تقوم بها هذه الطائفة من الناس المحتشدة في

بقعة من صحراء سيناء ولم يكن لفون كريس من الحزم والعزم في يوم من الايام مثل ما كان له وهو ياتي هذه المحاضرة لانه اوشك ان يميتني ثمار مساعيه وما اعظم مساعيه في الايام الاخيرة ، فقد ذهب بنفسه مرارا الى القناة وكان يجتهد في ظل خيمتين ويشرب الشاي وفوقه طيارة للمدودانية .

وكان كل انسان امامه في اثناء المحاضرة غير كفوء له ولم يزل وهو مدير هذه الفاجعة وصاحب امرها متمسكا بالنواضع ولين الجانب مع معرفته بما له من المكانة و اضافته اليها الثقة بنفسه والثبت من امره وكيفما كان الرأي فان منظر هذا الرجل يستوجب غبطته وهو على كل حال فوق الطبقة الوسطى من الرجال .

اما الفرقة العاشرة فقد وافت مقدمتها بئر السبع في ٣ شباط وهي مؤلفة من اللواء الثامن والعشرين ومن مدفعية صحراء سرية وقامت من بئر السبع في ٨ شباط فوصلت كتيبة الخيل في التاسع عشر من الشهر المذكور ووصل اللواء التاسع والعشرون الى كتيبة الخيل في ٢٠ = ٢١ و يتوجه الى القناة في الليلة نفسها وتبقى كتيبة المدفعية الاولى في حفير العوجا بسبب المياه والمون وقرر ان تؤلف الفرقة العاشرة احتياط الجيش واليك ما ذكر

جملة = ٩

في بلاغها :

١ = يعبر الفيلق الثامن بأجمعه القناة ويستقر في نجد طوسوم  
٢ = يعبر معسكر الفرقة العاشرة بعد لوائها الاول ويغرب  
جنودها متجهين الى السكة ويكون الاحتياطي العام وراء  
الفيلق الثامن

٣ = يعبر معسكر الجيش بعد لواء الفرقة الثاني اى الـ ٢٩

ففي يوم العشرين من شباط تلقي الحقيقة المرة قناعها وتضع  
الاحلام اللذيذة حجابها ، وفي هذا اليوم تعد التجربة اقصى عدتها  
للعبور وتثقل بأسرها فتقابل المكان الذي اعد لذلك ويذهب  
معسكر الجيش بعد هزيم من الليل فيقف في مكان بين القناة وبين  
كتيبة الخيل على نجد يبعد عن القناة مسافة اربعة او خمسة  
كيلو مترات وقد نفضنا<sup>(١)</sup> هذا المكان قبل الظهر وعرفنا طرائقه  
وسبله

تناولنا طعام الغداء ومكثنا في المعسكر نستريح قليلا وتمت  
اعمال التأهب ولم يبق علينا الا الانفاذ وبينهما فصل راحة عملة .  
وانتهى كل ما تستطيع القوة البشرية ان تعمله في تلك الظروف  
ولم يبق الا انحر نصف يوم لمباشرة التطبيق والاجراء

(١) نفض المكان : نظر جميع ما فيه حتى يعرفه

و بينما نحن في ذلك ثارت عاصفة باقضى شدتها فلم تكن نستطيع ان نشاهد ما حولنا وظنناها بادي الرأي بشارة رحمة لانها كانت تعصف من الشرق الى الغرب ورجونا ان تخفي ما تأخذ من اهبه وتحول دون كشف طيارات العدو غير ان هذا التفاؤل لم يدم طويلا بل اتقلب الى يأس لان العاصفة بلغت مبلغا لا يستطيع معه احد ان يبرح مكانه او يأتي باقل حركة او ينطق بكلمة وكان على القادة عمل كبير في هذا الزمن ولكل دقيقة وساعة حساب في جدول اركان الحرب

ولم يكن من المتوقع هبوب هذه العاصفة الهائلة قبل العارة بساعات وهي تبدل منظره الارض الرملية وتغير تكوينها وتفسد اعمال المكشف الاخيرة .

• اكانت هذه العاصفة بالبشرى التي يسكن اليها بل كانت ذات ضرر بالغ واذا غضبنا فماذا ينفع الغضب ؟ وهل تغير القوانين الطبيعية سيرها وتنقض احكامها لاجل تجريدة عثمانية قدمت العناية ؟ وهل من شأن الطبيعة اثاره عاصفة تؤثر في مصير تجريدة عثمانية ؟ فما اضعف الانسان واصغر مساعيه ادم قوى الطبيعة وشدائدها ؟ وقد عرض في خاطري حينئذ قول بخنجر ( ان قوى الطبيعة وحشية قاسية ) .



بقيت في جيبى برتقالة من بئر السبع حاولت اكلها مستقلا  
بها في هذه الزريعة فملئت بالرمال وكنت آسف على قطراتها  
المتساقطة .

سكنت العاصفة بفتة كما تارت بفتة قمنا ننفض عنا رمالها  
التي نكرت معارفنا ونفذت الى كل شىء ، ثم توارت الشمس في  
حجابها واستقبلنا ليلة قلما يصادف مثيلها بهاء ورونقا واطسافة ولا  
كسائمها صفاء ونجومها متشابكة كأنما هذه النجوم اشرقت على  
الارض لتشهد حلول الرزية في هذا المكان

وما اجمل ليالى البلاد الحسرة وارقتها ولقد ظننت باريس  
مضطربة في اول ليلة حلت بها بعد بلاد عسير . رأيت السماء  
عمرة باضواء ( مدينة النور ) لا يلوح لنا كوكب فيها وهي مكفهرة  
مغمية فحدث حينئذ فتحي بك الملحق العسكري بلعان السماء في  
عسير فقال انه يختار ارض باريس على مماء عسير . ذكرت هذه  
الكلمة على شفيرة اقامة فضيحتك لها ، وقد يهتز المرء طربا اذا ذكر  
حادثة ماضية وان كان في اخرج المواقف .

تحول مقر الجيش بعد طعام العشاء من كتيبة الخيل الى  
مكان الرصد وسار على اثره اللواء الثامن والعشرون من الفرقة  
العاشرية وقد انتخب هذا المكان في النهار وبينه وبين القناة خمسة

كيلو مترات وهو قليل الارتفاع اطلق عليه اسم ( الكتيب ذو  
العلامتين ) غير اننا لم نستطع الاهتداء اليه في جنح الدجى على اننا  
اتينا مرتين في النهار ولاح لنا ضوء منارة هنالك ولم نعرف  
ان كانت فوق الكتيب او لم تكن كما اننا لم نعرف الذي وضعها .  
ثم اهدينا الى الكتيب الذي لا يبعد مسافة نصف ساعة  
بعد ان جئنا مسافة ساعة وقد ضل اللواء التاسع والعشرون في  
بجته عنه كما ضل قائد الفرقة الزعيم « فون ترومر »

ترجلنا وراء الكتيب وصعدنا اليه وكان بيننا وبين قائد  
الفيلق مسافة مئة متر وكان كريس يرشد الجند المهاجم وقد  
انقطع اتصال قيادة الفيلق بموضع التعبئة بسبب انقطاع اسلاك  
اللفون وكنا نلجأ الى معاقنا ونسكن فيها كلما انبثقت الأنوار  
الكشافة من كل صوب وحذب وخطفت الابصار بضوئها .  
فهل كانوا يعلمون بما عولنا عليه في هذه الليلة ام هم يعملون  
ذلك في كل حين ؟

قدّرنا ان يبدأ بالعبور في الساعة العاشرة وان يأتي دور  
معسكر الجيش في الساعة الثانية ولكن مضت الساعة العاشرة  
ولم تلتق نبأ عن الهجوم ولم تقف له على اثر فهل كانت هذا  
الصمت دليلاً على نجاح المباغثة ؟ ولم يكن لدينا اسلاك تلفون

تسرع الينا بحمل الانباء . ومنها كانت هذه الظنون معقولة فاني  
لم اكن اظن ان حركة المرور قائمة ولم يقع في خلدي انني اعبى القناة  
في صباح الغد الرائق .

ضل اركان المعسكر في طريقهم الى محل الرصد ولم يتيسر  
وصله 'بجمل التعبئة غير انه مما يسبق الى الظن ان تأخر مسرايا  
المهجوم عن القيام بعملها في ذلك الظلام الدامس كما تأخر وصول  
الزوارق ومدافع الصحراء بسبب الزوبعة التي بدلت الارض  
غير الارض

مضت الساعة الحادية عشرة فالحادية عشرة وثلاثون دقيقة  
واوقت على الثانية عشرة والسكون مخيم في تلك الارحاء والانوار  
الكشافة تُنتشر في الفضاء وتجتاز بنا متتابعة وقد مالت بعض  
الكواكب الى الغروب واخذت تسطح في الشرق كواكب  
اخرى ونمذت الاصوات وحال التشوش واختلاج القلوب  
دون كل شيء

ففي منتصف الليل وفي وسط هذا السكون اخذت ترن  
في آذاننا اصوات غريبة مجهولة كرجع الصدى وكأنها خارجة  
من الحجارة والجمادات والكواكب السائرة او من نلامس الانوار  
الكشافة بالره ل ا لم تبق الا دقائق حتى تنقضي ليلة الهجوم

وينبلج الصباح .

اخذ الكرى بمعاقد الاجفان بعد منتصف الليل وطرحنا  
الاعياء على الثرى ولم يبق فينا من لم يرقد مهبا كان شديد العزيمة  
ففي ليلة هذه المباغثة على مسافة اميال من قناة السويس  
كان نفر من الناس رقادا على تلك الرمال تلاعبهم الانوار  
الكشافة فقرضهم ذات اليمين وذات الشمال لافرق بين  
الكبير والصغير ولا تفاوت في المراتب والمنازل كأنعام بعضها الى  
جنب بعض غير اني بقيت هاجما اتفض من البرد واطالع ابراج  
السماء التي تشرق وتغرب وانظر الى الساعة بين حين وحين  
كان بين عقاربها وبين نجوم السماء اتفاقا وعهداً .

فلا الآمال التي عقدت على غزوة مصر في الآستانة والشام  
ولا المقالات الافتتاحية التي كتبها طين ولا شيء سوى ذلك  
اثر في السماء وسيرة نجومها ولا منح هذه التجربة المنكودة دقيقة  
من الزمان ولم ادرك كما ادركت في تلك الليلة مبلغ تأثير الزمان  
في مقادير البشر وشؤونهم وتاريخهم فملككتني عيني وذهبت  
صريع الكرى

لا اعلم مدة منامي وقد استيقظنا جميعا على اصوات المدافع  
الرشاشة كأنها تغير النهوض وقال قائد الجيش : هاكم اسمعوا

اي انه صار ما انتم تنتظرون . وذهبت الى قائد الفيلق ولم يكن قد جاءنا خبر من الاخبار ولم يسمع لنا رنا صوت ، اما ذلك الصوت المتقطع الرفيع اليابس فهو صوت رشاشات العدو من عدوة القناة الثانية . فماذا كان يجري في القناة حينئذ ؟ بالها من دقائق اضطراب ا حار قائد الفيلق واستشراط غضبالات الرشاشات تدافع عن القناة فتذكرت كيف ظهر خطأ كثير من الآراء والمعتقدات التي كان يؤخذ بها قبل الحرب ولكن لم يظهر ذلك الا بعد نزول النازلة . لقد استخف بمقدرة الانكليز على الحرب ايما استخفاف ولم يكن يصدق انهم يؤلفون جيشا عرمرما وقد تقل رئيس اركان الحرب عن الاميرال شوسون قوله : « صدقوني ان الانكليز اضمحلوا » فالجهاد المقدس وخطر اتحاد الاسلام وظهور الثورات في مستعمرات فرنسا وبريطانيا وبلوغ النسيجة الحاسمة في الحرب عما قريب وشأن الغواصات وما اشبه ذلك من الآراء والمعتقدات الراسخة التي علنا ، بعد ان فات زمن العلم ، ما كان اقربها من الخطأ وما اشد مهالك احلامها . ولم يرض قائد الفيلق ان يبتى بعد نشوب القتال في الكشيب العاري من اسلاك التلغون وذهب مع حاشيته في طريق مكان التعبئة فغابوا في الظلام

اقبل بعد ساعة رسول وهو فتى من ملحق اركان الحرب  
فاعتذر لانه اسرع بالعودة بسبب جرح اصايه وقال ان الزحف  
الاول عبر الى العدو الثانية وقد تصاعدت اصوات التهليل  
منها ثم ورد علينا ان ثروت بك قائد المغيرين سقط جريحا  
وحمل للضميد جراحه . فتبين من ذلك ان القتال استمر<sup>(١)</sup> بين  
الفریقین واشتد امره وكان ضباب خفيف يستر كل شيء في  
ساحل القناة كأنه يريد ان يججب العيون عن مشاهدة الرزية .  
ويا لله ما جرى في ذلك الليل الاليل !

كان فون كريس يقف بين آونة وآونة ويعمل على تحديد  
الوجهة ثم يستأنف عزيمته وتبعه السرية . فقادير التجربة كلها  
في قبضة رجل واحد

ولم يكن لكريس بك دليل ومعين في هذا المسير المخوف  
بالامرار الغامضة غير رأيه وعزيمته وذكائه . افلا يصح لنا ان  
نشبهه بالرجل الذي تولى قيادة شعب قبل خمسة آلاف سنة في  
هذه الارحاء ؟

ضلت كتيبة الاستحكام والزوارق وزمر المدفعية الثقيلة وكان  
من البلاء ان لاتكون الاوضاع كاملة في حينها ولم تبلغ كتيبة

(١) استمر القتال : اشتد

الاستحكام والزوارق محل التعبئة قبل الثانية عشرة ولم يأخذ الجند بمفارقة هذا المحل الا في الساعة الواحدة ونصف ولم يطق المشاة حمل الزوارق فتأخروا وبدأ التردد والاضطرابات والتواني واخذت الكلاب تعوي منذ اصبح بين الجند وبين القناة ٧٠٠ متر فكانوا حماة القناة الايقاظ وحراسها الامناء . فتراكض الجند من فورهم الى سد القناة الشرقي ما عدا المكفين بحمل الزوارق وسبقت السرية الثالثة من الكتيبة الاولى من اللواء الرابع والسبعين فحاولت العبور غير ان رصاص الرشاشات اغرق الزورق الاول وقد تمكن ضابط وجندي من العبور الى الساحل وسلم الزورق الثاني وغرق الثالث وعبر زورق آخر من الكتيبة الثانية في اللواء نفسه وتبعه ثان ولكن الزوارق التي تمر لاتستطيع العودة بسبب النار الحامية ولم يكن يتيسر انزال الزوارق سبي في جميع الساحل لاختلاف تكوينه بل كان يقتصر على مكان محدود هاديء تنزل فيه الزوارق فتفتك نار الرشاشات التقاطعة فتسكاً ذريعا بالذين يركبونها من جنود الاستحكام او الذين بتقدمون الى الامام من المشاة ، وتغرق الزوارق وادوات الاستحكام وضعت الرشاشات في العدو الثانية من القناة وضعا متناسقا يحمل نارا متحدة في نقطة واحدة فجاهد الذين اقلتهم الزوارق

والذين غرقوا في اليم جهاد الابطال وابلوا بلاء حسنا وكان الضباط يلغون بانفسهم في القناة ليلسحبوا الزوارق المثقوبة ويدنوها من الساحل ، ويعتمدون على سواعدهم في عبور القناة ولم يكن ينفع هذا التعماني في كل حين وغرقت في ظلام الليل الزوارق المكتظة بالشهداء والجرحى واي شيء يعرف بالبداهة كما يعرف ان الزوارق الخشبية ثقوب بالرصاص وتغرق ولكن المرء لا يصدق كثيراً من البديهيات حتى يراها بعينه ويجربها بنفسه .

ذهبت المهمم والعزائم الحارقة ادراج الرياح وضاع كل ما بذله المهاجمون من جهود وفدى ولم يعبر الا مرتان تصاعدت اصواتهم بالتهليل والتكبير ثم سكنت ، ولقد ارشك الصباح ان يسفر ، وانجد العدو قواه في مواضع العبور ، واقبل يطار قنابله على المدفيعات الخبأة ، واشتركت في القتال القطرات المدرعة .  
واليك وصف الشهيد لما حسرت الشمس قناعها وارسلت انوارها على الكتيب الذي فيه المعسكر :

كان في شرقي القناة خط مقاتلة مرصوص تصلاه نار مشاة ومدفعية حامية ففريق قضى نحبه وفريق ينتظر وفريق هم بالرجوع الى الوراء

وكانت مدافعنا الصخراوية تقابل تلك النار . واما الطرادات



فقد لازمت الصمت كأنها لا تريد الدخول في المعركة ومدفيعتنا  
الثقيلة واقفة امامها كذلك  
وكانت سفن الاسفار تترامى متزاحمة وتمر في القناة  
مسرعة ومخالفة كل قاعدة من قواعد السير فيها التحمي في ثغر  
الاسماعيلية .

ونحن في هذه الحال انبأنا قائد الفيلق ان جنده يتقاعد  
عن القتال فينبغي شد ازره بالفرقة العاشرة فامر اللواء الثامن  
والعشرون بالتقدم ولم يمض غير دقيقتين حتى صار في حومة  
الوغى على غاية ما يكون من الدربة والنظام وحسن الحركة  
والاثناء والاعتدال طبقا لما تقتضيه الارض والنيران وقد مضوا  
في سبيل القناة لابلوون على نبيء بأقصى جراءة وعزيمة وكانت  
منظرة تستوقف الابصار وتخلب الالباب ، وما كاد يقف هذا  
اللواء في مواقفه حتى ثبت الفيلق الثامن ونشبت بين الفريقين  
نار حرب شعواء الى ان نشر الليل اجنحته السوداء

ولكن لماذا لم تشترك مدفيعتنا في القتال واين ( هاي باي ؟ )  
وكنت اكرر هذا السؤال مرغما . وهاي باي ضابط الماني شاب  
يقود مدفعية الهاون فظهر عمود من دخان متصاعد في وجهة  
الاسماعيلية بعد انفجار عميق محتق عرفنا منه دخول المدفعية في

القتال وكانت توجه ناراها بدأة ذي بدء الى سفينة مفرقة سيء  
 صفة معاون طراد في بحيرة التمساح فاضطرت بعد حرب ساعة  
 ان تخرج من المعركة وهي تلتهب التهابا ولكن لم يستمر فوز المدفعية  
 فقد استأنف القتال طراد مدرع في البحيرة المذكورة وثاب مناب  
 صاحبه واستمر في القتال حتى اخمد المدفعية . ثم اخذ يوجه النار  
 مع طراد آخر في البحيرة المألحة الى اغراض اخرى . فزالت من  
 اذهاننا الى الابد خرافة القائلين ان السفائن الجسيمة لا تستطيع  
 اطلاق النار في القناة . وكانت الطيارات تقوم بالكشف بدون  
 انقطاع ويجهد لا يعرف الكلال فتنظم نيران الطرادات ومراميها  
 وقد بلغ اتحاد مساعيها مع نار المدفعية حد الكمال فتصيب  
 الطرادتان الاغراض التي تسير اليها الطيارات في آن واحد وكان  
 الغرض الاقصى اصابة مخبيء مدفياننا وكثيرا ما استهدف المعسكر  
 للنار . ولم ينتخب مكان الرصد لقتال النهار بل كان ينتظر ان لا  
 تبجلي الغياهب قبل عبور القناة فحق ليران المدافع وقنابل الطيارات  
 ان تلاعب المعسكر وتكره رجاله على طواف ميدان الحرب رجالة  
 وركبانا الى يكنهم<sup>(١)</sup> الليل .

وجاء قبل الظهر تقرير من قائد الفيلق يقول ان احراز

(١) كنه واكنه الليل : ستره

القناة بغتة أصبح متعذرا فعلينا ان نحرزها عنوة وان نعمل على ادراك التفوق بالار وتقاتل الى المساء ونعاود حركة العبور في الليل . فاستصوب هذا الرأي وابلغ قائد الفيلق انه اضيفت اليه كتيبة مدفعية الصحراء الاحتياطية في الفرقة العاشرة ولكن تبين بعد الزوال ان التفوق بالار امر مشكوك فيه ، وانه يشك في بقاء ما فيه الكفاية من الزوارق

فاوفدني قائد الجيش لسؤال قائد الفيلق عن حقيقة الموقف من حيث المسائل المادية وحدها بدون اصغاء الى عاطفة او هوى وعن مقدار ما بقي من عدد الجسور . وكان معسكر الفيلق بين المدفعية وخط القتال مكشوفاً للنيران فرأيت هناك اشخاصا ثلاثة قائد الفيلق وفون كريس بك وعلي فواد بك .

اما جمال باشا فكان مطرقا مفكرا واما علي فواد بك فكان ناشطا هادئا واما فون كريس فكان مصفرا صامتا خجلا ولكن الثلاثة غير مكترئين بالار . وما اعظم تبدل فون كريس عن الليلة الماضية فقد سكرت معالم وجهه واشتد التباين بين يومه وامسه لما كان يلقي محاضراته وهو مفعم نشوة وثقة ورجاء ، فاضحي مكفهف الوجه غائض البتاشة<sup>(١)</sup> حزين الملامح قانطا من كل شيء .

(١) غاض الماء غيضا : قل ونضب

موليا ظهره القنّاة وراء معقل لا يعلو قيد شبر والقنابل تتساقط في جوارنا بين حين وحين كأنها تبحث عن مكان المدفعية فيرفع رأسه كريس بك خاشع البصر وينظر الى التراب المتصاعد نظرة الكاره البرم<sup>(١)</sup> الذي يأسف على تلك القنابل وذهابها ضياعا ويتمنى لو ان واحدة منها اصابته واودت به . فرجت ذلك الرجل الذي تهدم كل ما بناه من صروح الآمال ورجاه من الايام والليالي في بضع دقائق حيث ايه الموت على الحياة ، فحق على علي ان ارق له واكرمه واجل قدره واليك وصف الموقف :

تحتل خمس كتائب من الفيلق الثامن مسافة ٤ كيلو مترات امام طوسوم وسراييوم وهي تقابل على بعد ٢٠٠ او ثلاثمائة متر من القنّاة ولم يبق في الاحتياط الا كتيبة من اللواء الثامن والعشرين ووقفت كتيبة اخرى منه للدفاع عن الجناح الايسر اذا حاول العدو ان يخرج جندا الى الجهة المقابلة بحماية الطرادات والرشاشات والطيارات

وكان للفيلق مدفيعتان صحراوان سربعتان تولفان كتيبة مدفعية مستكنة وراء المعسكر في مسافة ٣٠٠ متر ترميه طرادة البحيرة المالحة وطرادة بحيرة التمساح في آن واحد على

(١) ابرمه فبرم كفرح وتبرم : امله فل

## حسب الرصد .

وقد ذهبت في الليلة الماضية جميع معدات الجسور واختار قائد الفيلق مشافهة قائد الجيش بالامر فقصدنا قصده في نحو الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر وتخاف عنا علي فوآد بك فسأل قائد الجيش قائد الفيلق عن رأيه بصراحة ووضح لا غبار عليهما فأجاب : « مس الجنود الاعياء فينبغي تعبئة اللواء الثامن في الخطوط الامامية ولكن لا بد ان يصيب هذا اللواء ما اصاب اصحابه وتقل الذخيرة بتماذي القتال ولا يصبر طويلاً على هذا الموقف مع ضياع الذخيرة واشتداد العناء

ثم وجه قائد الجيش الكلام الى كريس وقال ليس القصد من هذا الاجتماع توزيع المسؤولية وعقد مجلس عسكري ولكن القصد معرفة حقيقة الموقف ، فيقتضي ابداء الرأي بتغير حيطة وحذر فالتمس فون فرانكنبرغ ان يوجه له السؤال قبل بصفة كونه رئيس اركان الحرب في الجيش وقال : لا يرحى النجاح ابدا في التمس على الهجوم ويجب الخروج من القتال فوراً حتى نستطيع اتقاذ التجربة والانسحاب بنظام واذا ابطأنا فليست العاقبة محمودة

فسأل قائد الجيش كريس قائلاً اذا كان يرحى النجاح بنسبة

٣٠ أو ٤٠ الى المائة فإنه لا يحجم عن المخاطرة بالتجريدة

والحل الاخير متوقف على ما يراه فون كريس الذي يرجع  
اليه العمل كله في ماضي هذه التجريدة فمن الصواب ان يكون  
مستقبلها بيده . وقد اجاب القائد بقوله : لا يرجي النجاح مطلقا  
ولكن الحمية والمروعة تقضيان على التجريدة بان تحمل على القناسة  
فتذهب عن اخرها وذلك خير من أن تنكص على اعقابها ، فمن  
رأي المثابرة على القتال .

حقا ان هذا الرأي من أسى ما يوحى به الشعر والخيال  
وهو افضل خاتمة لهذه الرزية ينقلب بها غزو مصر الى ذكرى  
تاريخية خالدة مكالة باكاليل المجد والشهادة ومتممة لحوادث ابطال  
« الترموبيل »<sup>(١)</sup> وحماستهم المسطورة بل تفضلها طيب احداث  
(١) الترموبيل : مضيق شهير في تساليا بين جبل آنوبه وخليج  
مالياك ، فيه حاول « له اونيداس » مع ٣٠٠ من السبارطيين توقيف  
جيش كسرى باجمعه فلم يخطر على بال كسرى ان هذه الشرذمة من  
الرجال تستطيع ان تمنعه المرو فكتب الى « له اونيداس » كتابا ليس  
فيه الا هذه الجملة : « سلم الملحك » فكتب « له اونيداس » تحتها « تعال  
خذها » ولكن احد الخونة هدى الفرس الى شعب تمكنوا فيه من الاحاطة  
بجبل آنوبه . ولما رأى « له اونيداس » ان لا مفر من الموت دعى رفاقه  
الى طعام زهيد قائلا لهم : ستتمتى هذا المساء عند بلوتون « وهو »  
الجحيم والله الموتى « اه . - عن لاروس

وشرف ذكر ، فيكون السويس ضريح التجريدة العثمانية التي لم  
تقض لبانتها منه ولا يبرح خيالها ماثلا على ساحل هذه القناة ما  
دامت تفصل آسيا عن افر بقية ويبقى اثرها خالدا ما بقي الليل والنهار  
بحق لكريس بك أن يرى ذلك الرأي ولقد بلوت سره  
وعلايته وهو يريد أن يمضي في مسيله حتى يبلغ الكتاب اجله  
وهو لم يدخل في هذا الامر بعد حساب وفكرة وحكمة ولكن  
دخله مقاسرا فليس من الحكمة الانصراف من لعه بل عليه ان  
يستمر فيه وكان الرأي الذي ادلى به آخر رمية له .

فابتدر الكلام فائد الجيش حينئذ قائلا : اذا لم يكن امل  
بالفوز فإنه ينفس<sup>(١)</sup> بالتجريدة أن تراق دماؤها في سيل الشرف  
المنض ، ولذلك صحت عزيمته على الخروج من المعركة وامر بما  
يقتضيه الانسحاب فنظر كريس بك الى القائل نظرة اليأس  
لان في هذا القرار الضربة القاضية على آخر ما يرجوه من امل  
وهو عنده افدح خطبا من ضياع الزوارق . وكان في قطع  
المهاربة وقرار الرجعة ظفر معنوي لرئيس اركان الحرب فون  
فرانكبرغ الذي هون عليه اخفاق التجريدة وجبوت امرها  
اتهاء فون كريس للشرف والذكر الخالد السرمدي وذلك ما

(١) نفس به ( كفرح ) : ضن

كان يخشى ان يدركه اذا نجحت مقاصده وسيأتي معنا كيف  
اتهم فون كريس لنفسه . وكان اختلاف رئيسي اركان الحرب  
للألمانيين سببا في سلامة التجريدة ، وقد قال لي فرانكبرغ بعد ايام :  
لذا كان كريس يريد ان يموت فليذهب ويلتق بنفسه في القناة  
ولكن لا يحمل له أن يحمل التجريدة العثمانية بأمرها على الأتجار  
ولم يكن قائد الجيش كثير التألف لهذا المصاب ولئن فاته  
فتح مصر واخلفه منها الذي كان يأمل فحسه الاوبة الى  
ديار الشام .





## ١٠ الاياب

بلاغ الانكليز في الآسنانة - التقاط الجرحى -  
كيف تقطع صحراء التية ؟ - المخاوف - الغنيمات  
بالاياب - الماء في الخيرة الثانية - هلاك الابل  
برقيتا المسكر العام وفلكنهاين - قيادة البادية ولز  
تسند - كريس وفرانكنبرغ - موافاة القدس .

قاسينا عناء كبيرا في الاهتداء الى سبيل قصدنا ولم  
نتمكن من تحديد الوجهة بعد ان ارخى الليل سدوله وقد صادفت  
طالع سعيد فكانت الانوار الكشافة تعين جهة القناة فنتكبا  
وكنا نستقبلها بين حين وحين بعد أن نرسم نصف دائرة في  
ذلك الظلام غير مختارين وكما واجهتنا الانوار نكصنا على  
اعقابنا وكنا ننادي من كل جانب « شمنطوا شمنطوا » وهو  
جندي يهودي في خدمتنا فسمعنا آخرة الأمر صوتاً ضئيلاً تعرفنا  
به المسكر ولا ادري ماذا كانت مصيرنا في جوف الليل  
لولا الانوار الكشافة .

ولم نجد حاجة الى الاسراع بكتابة التقرير لانه لم يكن  
اتصال برقي فسرنا ذلك وتسلينا قليلاً لأننا لانضطر الى الانباء  
بنازلة في الحال

وفي غضون تلك المدة احاطت الأمانة علماء ببلاد  
الانكليز وبقيت تنتظر ما يأتيها من لدنا وكانت تظن المصيبة  
هنالك باقصى شدتها فاذا جاءها تقريرنا هان عليها وخف  
عنها الالم والفت وقع الحقيقة . والنجاح والخسران ، والسعادة  
والشقاء كل ذلك في هذه الدنيا متشابه يقاس بعضه ببعض  
واذا كنا نرعى الى فتح مصر فان النتيجة تعد هزيمة ولكن اذا  
كان القصد القيام بمظاهرة عسكرية حول القناة فقد تمت  
المظاهرة وتجلت بأبهى مجاليها ، ولقد قال الجنرال فلكنهاين بعد  
ثلاث سنين في القدس ان هجوم القناة يسر اعداد اساليب الدفاع  
عن الدردنيل والتمكن منها . فجاء بالفوائد المطلوبة من حيث  
تعبئة الجيش

والناس يعلمون انفسهم عند مواجاة المزال ويهونون عليها  
والياس احدى راحتين ، والسعادة التي نسعى وراءها ولا  
ندركها هي التي تثير الاضطراب . وكان من المستحيل ان  
تستولي على مصر الدول المركزية التي ملكت عليها مخارج البحار  
ومسارها ولم تكن نرى هذا المستحيل ولا نعتقد به غير اننا الآن  
لما جربنا بانفسنا فعلمنا ما لم نكن نعلم ورأينا ما لم نكن نرى  
عادت اينا عواذب احلامنا وايقنا ان ما كنا فيه هو الباطل

فاسلمنا اجفاننا الى الكرى ونمنا لبتنا هادئين حطمشين ولم نشعر  
بما وجدناه من راحة ولذة حتى اقفنا ورأيا السماء قد امطرتنا  
وبلت ثيابنا

وقضينا اليوم الثاني والعشرين من شباط سنة ٣٣٠ في  
كتيبة الخيل ونحن نلتقط الجرحى ونلم الشتات ونضم النشر  
ولو نازلنا العدو حينئذ لازلناه وصمدنا له .

وقفنا نتساءل كيف تقطع صحراء التيه مرة ثانية ؟ وذلك  
اهم شيء لدينا لأننا لم نعد له عدة بل لم تعرض لنا الرجعة على  
على بال ولا بد ان القراء عرفوا من مطالعة ما كتبه ان كل ما  
بذل من المساعي هو لاجل بلوغ القناة والمكث امامها نحو  
بضعة ايام وكنا نعتقد ان الاوبة من صحراء سيناء مرة ثانية هي  
الهلاك بعينه . فما من وسيلة الى النجاة الا اختراق القناة والانتفاض  
عليها والعبور الى العدو الثانية حيث الأمن والامان ورغد  
العيش وطيب الحياة وقررة الاعين وبغية النفوس .

فاما وقد كتبت الرجعة ولم يبق محيص عنها فأين الماء  
والميرة وهل تأتينا قطرات الابل بما نحن في حاجة اليه فننجينا من  
الهلاك ظمأ وجوعا وليس دفن التجريدة في التيه الا امرأ يسيرا  
هينا . وقد بقي علينا ان نحسب حساب العدو ومتابعته لنا اذ

يمكنه ان يسوق فرسانه كلهم الى العدو الثانية من القناة عندما يأتيه نبالا انسحابنا فيقتفوا آثارنا بسرعة ويثلموا خط رجعتنا او يحدقوا بنا . فتجادبتنا هذه المخاوف وقضت علينا ان نسرع بالرجعة غير ملوین على شيء ولا يجوز اضاءة ساعة واحدة ولا الوقوع في خطأ مها كان يسيراً لأن الموقف شديد الخطر عظیم الحرج . وقام في نفوسنا مقام فتح مصر الاكتفاء بسلامة العودة ورضينا من العنيفة بالاياب وكانت نترآى لنا هذه الصحراء كعدو لا يقاس به عدو ، وكذلك اصبح همنما فما اشدهبوط الفكرة في مدة اسبوع ؟

وفي ليلة ٢٢ = ٢٣ من شباط سنة ٣٣٠ برحت الحملة بأمرها كتية الخيل الى الخبرة الثانية وكان علينا ان نمتطي الليل وتأهب في النهار للقتال الى ان ننأى عن ساحات الحرب فوجدنا صهرج الماء في الخبرة الثانية محاطا بالحراب ومعنى ذلك انه لا يزال فيه ماء وان كان نقص عما قبل تم قسنا عمق المياه واستطلعنا مقدارها وحسبناه حسابا دقيقا ، والاضطراب بالغ منا حده فوقعنا فيه على سقاية ايام

ما اعظم هذه البتري انها كانت دليل اجماعة وعنوان الخلاص وعونا كبيرا على الارتدادخوات قطرات المياه الى قطرات

مؤن وارسلت رسل الضباط من المهجاة الى المنازل لترسلها  
وتجد في سوقها ولا ترفه عنها حتى تصل اليها .

استرحنا يوما في هذا المكان الذي يسرفه به يدان  
يحملوا معهم ماءً يعينهم على قطع المنازل التي لا ماء فيها والحمد  
لله على ما انعم علينا في ذلك الصهر يج ولو اننا لم نجد فيه ماء لكان  
الهلاك نصيبنا على غالب الظن . وقد علمنا فيما بعد ان البريطانيين  
حولوا ماء هذا الصهر يج الى صهر يج آخر .

ومضى عليّ زمن غير قصير لم امس فيه الماء ففكرت في  
الخبرة الثانية ان اسأل حامي الماء سعد الله بك رفيقي في المدرسة  
شيئا قليلا اغسل به وجهي ويدي ورجلي ولم يكن عدلا ان  
يطلب مدير شعبة الاعمال الحربية هذا الطلب من الذي تولى  
توزيع المياه فكانه يدعو الى مخالفة ما لديه من الاوامر والواجبات  
فترددت قليلا في الطلب ثم رأيت الليل أفضل الاوقات فذهبت  
اليه ورجوته فأجاب طلبي بكل لطف ولكن تبين لي انه يعاملني  
معاملة استثنائية

وقد انعم الله علينا في الحياة المألوفة بنعم لا تحصى ولا  
نعرف قدرها لا عند فقدانها فتذكرت في الخبرة الثانية عيون  
الاستانة وعرفت فضلها وجمالها

خرجنا في النهار من الخبيرة الثانية وتوجهنا الى الجفجافة  
وكنا نتشوف بابصارنا ومناظيرنا الى المسافات البعيدة لنرى  
قطرات المون فعثرنا بعضها بعد انتظار طويل  
وقد اصبحت الابل كأنها هياكل عظيمة من الجوع والجهد  
وكنا نتعجب من مواصلتها الهأب على مثل هذه الحال ونحن  
مضطرون لبذل أفدية في سبيل انقاذ التجربة وقد هلك عند  
عودتنا الى بئر السبع ٢٠٠٠ بعير اشتركت في تجربة القناة  
بعد ان برّح بها الجوع والظّم وواصلت السير بالسرى  
وليس الآلام التي ابتقتها الحرب في القلوب من  
تجربة القناة الاولى وحدها بل في تواليا وهواديا<sup>(١)</sup> ما يزيد في  
المضض والكرب فقد هلك نحو ٦٠٠٠٠ بعير على هذا المثال  
وابل الاقاليم الحارة ذات شعور وحس دقيق ولا تستطيع مواصلة  
عمل منظم كما لا يستطيع الجنود ان يقوموا بأودها، ومن الخطأ  
القادح ان يظن بأن الابل تتحمل من العطش والجوع والعنت  
ما لا حد له .

وفي ٢٥ شباط سنة ٣٣٠ اقبل علينا رسول يحمل هاتين

البرقتين :

(١) الهوادي : الاوائل والتوالي : الاواخر

١ = المعسكر العام في ١٣ شباط سنة ١٣٣٠

ان اخفاق الجيش في الاغارة على القنارة يحدث اسوء تأثير  
فيجب الهجوم عند التثبت من النجاح ولذلك فحسبكم ان تظاهروا  
امام القنارة وتعطلوا السير فيها .

اما البرقية الثانية فهي المانية العبارة من الجنرال فلكنهاين  
وفيها : «ان بعد قوة عثمانية ضئيلة يسيرة عن قاعدتها وامعانها في  
التقرب الى قواعد العدو يكونان سبب الوقوع في الشر فينبغي اتخاذ  
كل حيلة وحذر» . فكلا هذين الامرين لا يقولان بالمهجوم على  
القنارة والمهجوم وقع قبل خمسة ايام والعمل الذي انجزناه من ذات  
انفسنا اكثر مما يطلب منا والبقاء امام القنارة ، مع النظر الى مسألة  
الماء والميرة والذخيرة وقلة الوسائط التعلية ، من قبيل تمني الهال  
ويجبني في هذا الصدد ان اذكر كيف وجدت الثجريدة  
ماءها وموتها :

لم يكن في البادية ماء جار على الاطلاق وكان في بئر  
السبع وحفير العوجة آبار غزيرة المياه وفي كل من الخلاصة  
وبئر حامه والخبرة الاولى بئر يكفي لورود بضعة آلاف وفي  
وادي العريش والخبرة الثانية صهاريج ماء وفي كل يوم يملا  
المرء وعاده من الماء وترد الابل ربعا . والموتف توزع بانتظام

والشعير مفقود فتأخذ الأبل بدلا منه كل يوم نصف كيلو من  
حتات البقساط .

ولما وافينا الخبرة الأولى وجدنا الخطوط البرقية ممدودة  
اليها وكانت تنقل الأعمدة على ظهور الأبل التي تحمل لانها لم يكن  
سواها من عدد النقل فوصل البرق في ٢٢ شباط سنة ١٩٣٠ الى  
الخبرة الأولى وفرشت الاسلاك المغلقة بين الهلال والابن ولكن  
الأبل كانت تطأها فتكسرهما ولذلك تحتم رفعها على الأعمدة .  
ولم تكن المواصلات التلفونية منظمة مأمونة الا بين كتبية الخيل  
والخبرة الثانية .

ولما عدنا الى الابن وجدناها متحسنة مزدانة وقد استنبط ماء  
مالح في مسافة ساعتين منها وتكاثرت فيها الخيام والمصابيح واصبحنا  
نراها بلدا معمورة بالقياس الى الجفجافة

وعادت الينا الخيالات بتباعدنا عن القناة فأنشأنا في الابن  
قيادة بادية لتابعة اعمال الاقلاق والازعاج . ولما كانت تلك  
الاغارة تسمى في عرف رجال العسكرية كسفا هجوما وجب  
الانتفاع منها والتأهب للهجوم الحاسم والاستعداد الكافي له ولذلك  
اصبحت تسمى التجربة السالفة رحلة القناة الأولى فان كان اخفق  
الهجوم فقد اخذت نتوالى بعده اسفار وحملات كان مقدمة لها .



فمن الذي ينبغي ان توكل اليه قيادة البادية ؟ ومن الذي ينبغي ان يتوجه الى المانيا ليقدم البيانات الشفوية ويعمل على اجتلاب العدد اللازمة لاستئاف الكرة وكان ينبغي ان : افر فون كريس بك الى المانيا ولكن رئيس اركان حرب الجيش فون فرانكنبرغ بك فاز بهذا الصيب وغلبه عليه ، وقدرت له حظوة المشول بين يدي القيصر فقرر ذهابه وقلد فون كريس قيادة البادية ورفع من شأنها لمرضاته فجعلت معادلة لقيادة الفيالق وكان في ذلك ظفر ثان لرئيس اركان حرب الجيش « البروسي » على رئيس اركان حرب الفيالق « البايري » وغادر فون فرانكنبرغ القدس في سيارة نفحة اقلته من جوار الباب الاكبر لبناية ( اوغوستا فيكتوريا ) وله في الحقيقة الفضل والسبق على فون كريس الذي عاد الى الصحراء ولكنه سينتقم لنفسه ويستفيد من هذه التضحية التي جعلت له صحراء سياء مركز امتداد كمر كرامتاد ( ارشيد ) ينيله كل ما تصبو اليه نفسه من المطامح .

واجتمع الرجلان بعد ثلاث سنين في الساحة نفسها وبينهما فرق عظيم فلم يبلغ فرانكنبرغ الذي صحب فلكنهاين في تجريدة الصين وصحبه في هذه المرة غير رتبة قائد لواء من المشاة ولم يكن على صدره غير الصليب الحديدي من الطبقة الاولى ومداية

امتياز فضية . وأما فون كريس الذي هو اصغر منه سنا فقد اصبح جنرالاً وباشا وقائد جيش ونال اجل المدايات الالمانية والعمانية فاستقبل مواطنيه بهذه الحال .

ولما قطعنا الامن وام شينخان ووادي العريش والملال واصبحنا بمأسن اخذنا نسير في النهار ونسكن في الابل

ثم اني صادفت كتبية الاستحكام التي اصابتها الخسائر العظمي في الحملة وقد اضناها السير على هذه الرمال التي لاحد لها يوصف وعجزت ثيرانها عن جر الاثقال بسبب ماناها من الضعف فرثيت لحالها وترجلت فمشيت بجانبها قليلا لعلني اشاركها في آلامها او استغفر لذنبنا اليها .

مسكية انت ايها الثيران! ياثيران الاناضول ياثيران ام الوطن! لقد ذهب ما قاسيت من عناء وعنت ادراج الرياح . ولقد تراءى لي في هذه الثيران ووقع في قلبي كل ما لقيته ام الوطن من شقاء وتذكرت جراحها الدامية وانعابها الضائعة في سبيل الاوهام الباطلة وكذلك جمالها وعصمتها ورحمتها وتغانيها . انها لذكرك موهبة مستحبة! ومن يعلم يا ترى لاي يتيم هذه الثيران؟ ومن هي المرأة التي ابقى لها زوجها ذلك التور تسلك منه بعد ان لحق بربة في البانيا او اليمن فسلب منها باسم التكليف الحرية لفتح مصر .

مهد طريق للسيارات بين الحفير وبئر السبع فأرسلت  
سيارتنا الى الحفير وكنا في اوائل الربيع وقد نشر على وجه  
الارض غلالة رقيقة خضراء فبدأنا نشعر بأننا دنونا من الحياة  
الطيبة والمدنية الزاهرة والطبيعة الحسنة ، ولما رأينا مباني بئر  
السبع ومسجدها وسوقها وازقتها واشجارها ايقنا اننا انتهينا من  
الصحراء وخلفنا وراءنا عهد البداوة والوحشة فاستقبلنا قائد  
الحدود بهجت بك الزعيم ار كان الحرب بوجهه الطلق واسترحنا  
هنية ثم استأنفنا المسير الى القدس وكان ذلك اليوم ثاني مارس .  
وقع الاختيار على مدينة القدس لتكون معسكرا للجيش اذ  
هي اقرب الى القناة وامر ان يتخذ مستقرا في بنان اوغوستا  
فيكتوريا الفخم الذي اطلق عليه اسم قيصره الالمان  
وكان جمال الطبيعة يزداد في عيوننا بهجة ورواء ونحن  
بين بئر السبع والقدس حتى اصبحنا نشاهد كل شيء احسن  
واجمل مما كنا نشاهده

ثم وصلنا القدس في ليلة قراء هادئة وقد نامت العيون  
في المدينة وسكنت حركة اهلها وكأنت بناية اوغوستا فيكتوريا  
المشرقة على المدينة والمطلية على بحر لوط قائمة في تلك البقعة  
وانوار القمر تشرق عليها فيظهر في نهر التسريعة خيالها وكأنما

هي ابوان مزخرف بديع اعد لاحد الملوك الاقدمين . ودخلت  
السيارة من الباب الخارجي الى جنينة واسعة زاهية فرسمت خطأ  
منحنيا جميلا على ومالها التي لاتشابه ومال الصحراء ولما وقفت بنا  
في فناء سلم الباب الداخلي ما كنت لأصدق اننا كنا  
قبل ايام في صحراء التيه في الجفجافة في جوار القناسة بل ظننت  
ما كنا فيه حلا من الاحلام وحديثا من احاديث المنام

